المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية الدعوة والإعلام
قسم الدعوة
الدراسات العليا

إعداد الداعية

من خلال سورة فصلت

بحث تكميلي لدرجة الماجستير

يقدمه المعيد : حمد بن ناصر العمّار

إشراف الدكتور : يوسف محي الدين أبو هلالة

١٤٠٧ - ١٤٠٨ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

* الاهـــــــداء

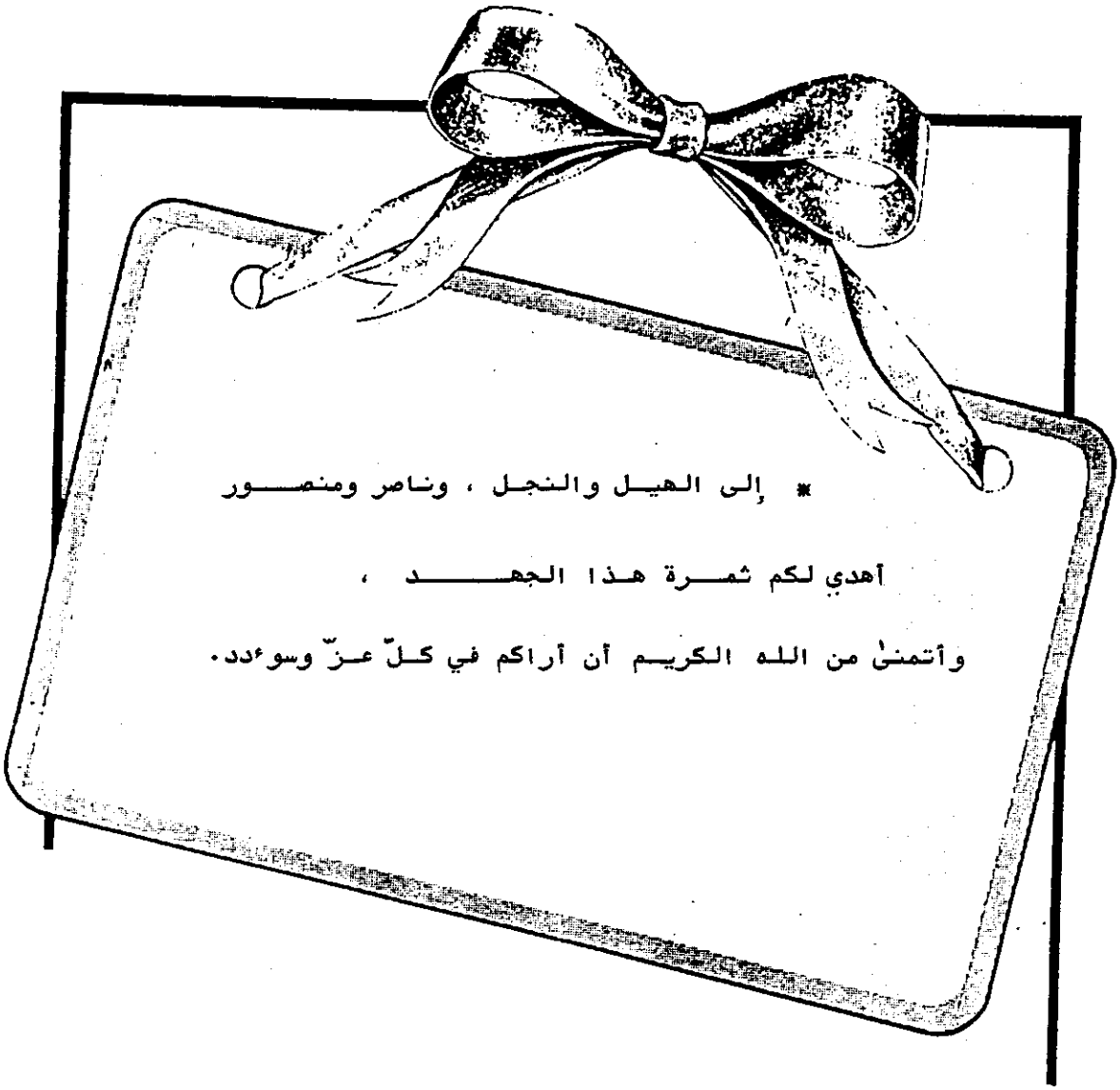

* إلى الهيـل والنجـل ، وناصر ومنصـــور

أهدي لكم ثمـــرة هـذا الجهـــــد ،

وأتمنىٰ من اللـه الكريـم أن أراكم في كـلّ عـزّ وسوءدد.

المقدمـــــــــــــــة

الحمد لله الذى جعل الدعوة حياة الدين وألزم بها عباده المتقين والصلاة والسلام على الهادي البشير النذير، والداعي إلى الله بإذنه بالسراج المنير نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبع هداهم إلى يوم الدين .

أما بعد :

إنّ دعوة الناس لدين الله واقناعهم به، وإعدادهم للوقوف عند أحكامه من الوسائل التي يقوم المجتمع الاسلامي الا من خلالها ولا تستأنف الحياة الاسلامية إلا بها. ولا تتنسم البشرية رائحة العدل إلا في ظلالها لقد ظهر الفساد في البر والبحر . وجاءت أمم الأرض شاكية سوء الأحوال وعاقبة المال . وباتت جازعة مما يخبئه الغد . من أهوال تكدح فيها أذهان العلماء وتجرى بها شياطين السياسة وتتهارش عندها وحوش الحروب وحاجة الناس إلى الدعوة ملحّة وضرورية. لتدارك المصاب الخطير . ومقاومة الشر المستطير وما لايتم الواجب إلا به فهو واجب .

والأمّة اليوم بحاجة إلى دعاة مخلصين مع ربهم، صادقين مع أنفسهم عالمين بشرعهم، وبما يدور في واقعهم، ملمّين بأوضاع بيئتهم يهبون أنفسهم لخدمة هذا الدين والعمل من أجله .

ولن يكون لسعادة البشر سبيل إلا إذا وجدت مجموعات فزّة من الدعاة المخلصين تلك التي عرفت دينها على حقيقته، التي أنزل بها أوّل مرة صافية نقيّة . مبرئة من الشك والشرك، يكرسون حياتهم لاسعاد البشريّة به ويعطون نفوسهم قيمتها بأنها لله منذورة ويجعلون مما تهم في سبيله غاية الأماني، يذودون عن دينهم كيد الكافرين وضلالات الزائغين وسفاهات المفتونين.

وان من حق الدعوه على الباحثين المسلمين أن تتناولها أقلامهم وأن تجول في حلباتها أبحاثهم وأن تولى من الرعاية ماهي جديرة به .

وانني في هذا البحث ماصنعت شيئا أكثر من أني اجتهدت في تثبيت ملامح السوره للدعوة الاسلامية من خلال هذ ه السوره المباركة في كتاب الله الكريم .

وما أظن أمة من أمم الارض تحتاج الى وحدة العقيدة والفكر كالامة الاسلامية ولن يوءتي غرس الدعوة ثماره ولن يكتب له أن يستوي على سوقه إلا إذا استقى من نبع القرآن الصافي ونهل من عذب معينه ذلك النبع الذي استقى منه رسول الله صلى الله عليه وسلم . واقتفي أثره صحبه الكرام عليهم رضوان ربهم . فخلصت نفوسهم لله واستقام شأنهم على نهجه واستضاءت عقولهم بنوره وخلص شعورهم من أى موءثر غيره ولن تعود للامة المعتلة صحتها الا اذا اقبلت على احتساء ذلك العلاج الصحيح في بيئة نقيه صافيه .

فان زهد وا في ذلك فلم يصلح لهم شأ ن ولم ترتفع لهم راية ولم تتضح لهم وجهه . واجتهدت في تثبيت ملامح السوره للداعية المسلم خلال هذه السوره . ذلك الذى يقدم للناس وحي الله ويتعرف على مدى ارتباطهم به وانتفاعهم منه وانه ليس تاجر سلعة يعرضها فاذا أخذ ثمنها ذهب في طريقه بل انه صاحب صفات عديدة بتمثلها يكون نجاحه لتتمخض على يديه الاوهام الكبيره . فاذا هي هباء وتبدد الغيوم الداكنه فاذا هي جهام لامطر فيه .

والعمل لهذا الدين يحتاج جنودا مجهولين ومكافحين صامتين يبذلون دماءهم وأموالهم وأوقاتهم في سبيله دون ضجه أو ادعاء.

وان القرآن الكريم حافل بكل مايحتاجه الفرد أيا كان ولذا فقد تطرق القرآن في سور عديدة وآيات متفرّقة لهذه القضية.

قضية إعداد الداعية : كيف يصاغ؟ وكيف يربّى ؟ وكيف يكون ؟

ولعلّ من أبرز السور التي عالجت هذا الموضوع: سورة فصلت فإنها تحدثت عن إعداد الداعية وتقويمه من حيثيّات متعددة .

تحدثت عن إعداد الداعية من حيث تعريفه بالأساليب الجيّدة في عرض الدعوة ومن حيث تذكيره بالهدف الذي يدعو إليه .

ومن حيث إبراز المجالات التي يدعو في محورها ، فدعوة إلى تصحيح المعتقد ودعوة إلى تصحيح السلوك في التشريع . والأخلاق . ودعوة إلى تعريفه بأبرز السمات الأساسية التي يجب على الداعية أ نيتصف بها في حياته العاديّة والعمليّة .

فالله سبحانه هو الغاية التي إليها تشدّ الرحال في الهجرة المباركة وبها قصد السبيل ونجاة المحيا والممات . يستشعر الداعية عظمة موجده . ويسعى لنيل مرضاته . فلا يختلج في بدنه عرق من الرهبة والرغبة لغير من سواه . وألهمه فجوره وتقواه. وحاولت من خلالها لفت الأنظار إلى أساليب الدعوة الناجحة الرائعة التي جاءت بها هذه السورة لتسهم في نقل العباد من الغيّ إلى الرشاد . والتطلّع إلى مافيها من كنوز حافلة بالنفائس الثمينة التي دونها ماخطر على بال البشر في شتى عصورهم وأزمانهم .

أسباب اختيار الموضوع وأهميته :

(١) الحرص على التعرف على الاساليب والمجالات والسمات الدعوية واستنباطها من المنهج القرآني وان سورة فصلت لتعتبر من السور الرائدة في هذا المجال . والتي اشتملت على الكثير من الحقائق الدعوية .

(٢) قلة المادة العلمية الدعوية المستنبطة من القرآن الكريم .

(٣) النظر في حال الامة الاسلامية على وجه الخصوص وإلى الامة البشرية على وجه العموم يشعرنا بالحاجة الماسة للدعوة وإلى من يقوم بها ممن ربوا تربية جادة ،وهم على طراز فريد وممن اعدوا اعدادا اسلاميا قويا .

(٤) إنّ الامة الاسلامية الان في اعتقادى لايمكن اصلاحها والنهوض بها وعودتها إلى أصالتها الدينية والفكرية والخلقية إلا بالمبدأ ، والطريقة التي صلح بها أول أمرها وهو المنهج الالهي الذى كان يقوم أساسا على الاستقاء من النبع الاول القرآن الكريم ورافده الثاني: السنة المطهرة .

(٥) إنّ سورة فصلت قد اشتملت على مقوّمات حياتية عديدة للدعوة فإنها تشير بوضوح إلى سمات الداعية وكيف يجب أن يسير في الدعوة إلى الله تعالى .

(٦) حجم السورة فإنها من السور المتوسطة فليست من المئين التي تحتاج إلى جهد ضخم وعمل شاق.وليست من القصار التي لاتستوفي أغراض الدعوة وأهدافها .

بل هي متوسطة بين ذلك.مشتملة على أروع الدرر. وأبرع التوجيهات.

وطرق السورة وبحثها من هذه الوجهة لم يسبقني اليه احد فيما أعتقد بل لقد سبقتني دراسات عديدة لهذه السورة قديمة وحديثة سواء ما أعتمد منها على مدرسة المنقول والمأثور ام ما اعتمد منها على مدرسة الرأى، سبقت بهذه الدراسات من حيث تفسير الكلمات وشرح الآيات من منطلق تفسيرى عام .

وقد تميزت دراستي للسورة بدراسة القضايا الدعوية الموجوده في السورة، وتحليلها تحليلا مناسبا ثم استنباط مفاهيم دعوية وقواعد حركية مستوحاة من السورة فيما تلقيه آياتها من معان وفيما تظله آياتها من ظلال وارفه يروق للباحثين أن ينهلوا منها وأن يستفيدوا الاستفادة العظيمه .

فبحثي هذا لايعتبر تفسيرا للسورة ، فمثلي يعجز عن التفسير وإنما التفسير له أهله المتخصصون فيه ومن استوفوا شروطه وآدابه .

والتفسير له طرق تختلف تماما عن الطرق التي سرت عليها في هذا البحث . وهذا البحث انما هو استنباط للقضايا الدعوية من خلال السورة .

* المنهج الذى سرت عليه في البحث ..

سرت في بحثي على منهجين ممتزجين في بعض الاحيان ومفترقيـــــن احيانا اخرى وهما المنهج التحليلي والمنهج الاستنباطي .

أولا : المنهج الاستدلالي أو الاستنباطي هو :

(منهج يبدأ من قضايا مبدئية مسلّم بها) إلى قضايا أُخرى تنتج عنها بالضرورة دون الالتجاء الى التجربة ويتم هذا بواسطة القـــول أو بواسطة الحساب).

وهذا يعني ان هذا المنهج سينطلق من مبادئ ء ثابته الى نتائج يتضمنها .

وبعبارة أخرى هو تفكيك القضية إلى أجزائها .(١)

ثانيا : المنهج التحليلي :

(يعتمد هذا النوع على جمع المعلومات التي تتعلق بأى نشـــاط كان . ثم تحليلها أي تحليل تلك المعلومات المجموعة لاستخلاص مايمكـــن استخلاصه منها. لتقرير ذلك المقرر او تعديله او استبداله). (٢)

وقد قمت بعزو الآيات القرآنية الكريمة وبتخريج الأحاديث النبوية الشريفة وعزوت كل ماورد في بحثي من قول الى صاحبه سواء كان من العلماء السابقين أم من المحدثين.

وسواء كان ذلك نقلا أم اقتباسا أم غير ذلك فقد بينته في موضعه.

---

(١) مناهج البحث د. غازى حسيـن عناية ص ٨١ + مناهج البحث العلمي د. عبد الرحمن بدوى . ص ١٨.

(٢) مناهج البحث وكتابتها د. يوسف مصطفى القاضي . ص ٨٩.

* مشكلات البحث :

ابرز المشكلات التي واجهتني في البحث مايأتي :

(١) قلة المصادر المتخصصة في الدعوة عموما. وفيما يتناول الداعية من حيث التكوين والاعداد خصوصا.

(٢) اسهاب المفسرين في تفسير السوره . من تفسير مفردات الايات واعطاء معنى اجمالى عام لها. بعيدا عن روح الدعوة واستلقاط القضايا الدعوية من السورة. ماعدامانهحه النزر القليل منهم امثال : سيد قطب رحمه الله في تفسيره في ظلال القرآن ومحمد رشيد رضا رحمه الله في تفسير المنار .

(٣) سعة المادة العلمية التي يدور في فلكها البحث اذ أن اتساعها يعجز الباحث عن تتبع الموضوع والاحاطة التامة به. كما يعجز سعة الحديقة زائرها عن تتبّع روائح العطور ومعرفة أنواع الزهور.

(٤) قصر المدّة المعطاة للبحث وهذه المدة تكفيه لو أنه اعتبر بحثا متمما ولكنه يناقش كرسالة ماجستير مما يجعل الباحث يضطر إلى أن يصل ليله بنهاره . لعلّه يدركه الوقت المحدد ويكون عمله مرضيا عنه ..

* خطة البحـــــــث :

يشتمل هذا البحث على تمهيد وأربعة فصول :

التمهيد ويشتمل على نقاط ثلاثة :

(١) ذكر لمحات عامة عن السورة ،عن أسمائها،ونوعها وأبرز قضاياها وفضلها.

(٢) إيضاح أنّ الدعوة إلى الله وظيفة الرسل وأنهم قاموا بما كلفوا به حق القيام . وأنّ الامة الاسلامية شريكة لرسولها في حمل الدعوة والقيام بالواجب .

(٣) بيان أنّ القرآن الكريم منهج سعادة البشر.ففيه الهدى والنور والشفاء والرحمة.

الفصل الاول :

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الاول : التعريف بالدعوة.وقد عرفت الدعوة في اللغة والاصطلاح

المبحث الثاني: التعريف بالداعية.وقد عرفت الداعية في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثالث : حاجة الناس إلى الدعوة وبيان ذلك.

الفصل الثاني : أساليب الدعوة ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الاول : التبشير والانذار وبيّنت فيه أن من أساليب الدعوة في القرآن والتي كان يستخدمها مع المدعويين في عرض الدعوة

استخدام اسلوب الوعد والوعيد . والترهيب مرة والترغيب أخرى .

وذكرت الانذار بالنار أعاذنا الله منها والتبشير بالجنة جعلنا الله من أهلها .

المبحث الثاني : لفت الانظار الى مصير الامم السابقة (قوم عاد وثمود) فقد وردفي السورة ذكر القصتين فأعطيت نبذة موجزة عن نبي الله هود وصالح عليهما السلام .

وما كان جواب قومها لها وماحلّ بها وكيف ان القرآن يذكر قصصها وماحصل لقومها من العذاب . عند رفضهما للدعوة .

المبحث الثالث : لفت الانظار إلىآيات الله الكونية فقد ورد في السورة آيات كونية متعددة منها : الليل والنهار . وكيفية تعاقبهما واستفادة البشر منهما،ومنها الشمس والقمر وكيفية إشعاعها بالضوء واستفادة الكون منهما،ومنها الارض وكيف أنّها تكون يابسة هامدة وبعد نزول المطر عليها تحيا باذن الله .

فتلك آيات تدلّ على قدرة الخالق سبحانه ، المستحق للعبادة .

الفصل الثالـــث :

مجالات الدعوة في السورة : ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الاول : الدعوة إلى الايمان بألوهية الله تعالى.فقد ورد في السورة :آيات عديدة تدعو إلى الايمان بهذه القضية وتجعل هـــذه القضية احدى القضايا الاساسية التي يدعىٰ إليها.

المبحث الثاني : الدعوة إلى الايمان بالحياة الآخرة ،فالايمان بالحياة الآخرة أحد أسس الايمان الستة.وقضايا اليوم الآخر قضايا عديـــدة وقد ركزت على قضيتين وهما الجنة والنار :

المبحث الثالث : الدعوه الى الايمان بالوحي :

واشتمل هذا المبحث على مسألتين :

(١) اثبات رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

(٢) اثبات أن القران الكريم تنزيل من رب العالمين .

الفصل الرابع : سمات الداعية ويشتمل على تسعة مباحث هي :

المبحث الاول : الايمان بالله .

المبحث الثاني: العمل الصالح .

المبحث الثالث : التقوى ..

المبحث الرابع : الاستقامة .

المبحث الخامس : القيام بالدعوة.

المبحث السادس : الاستعلاء والاعتزاز والانتماء .

المبحث السابع : مقابلة السيئة بالحسنة.

المبحث الثامن : الصبر .

المبحث التاسع : الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم.

فهذه السمات السالفة الذكر مما يجب على الداعية أن يتصف به وقد تم شرحها بالتفصيل في موضعه .

الخاتمة : وفيها أهم النتائج التي توصلت اليها:

- وفي الختام أتوجه بخالص الشكر والتقدير إلى أستاذي وشيخي الدكتور يوسف محي الدين ابو هلاله / الذي أشرف عليّ في هذا البحث .

أشكره على توجيهاته ومتابعته التامة وعنايته الفائقة واستدراكاته اللطيفة مما كان له أكبر الاثر في نفسي .

فأقولها وبحق إن شاء الله،فهو لم يألُ جهدا،ولم يدّخر وسعا في مساعدتي على إخراج هذا البحث بالمظهر اللائق في الجوهر والمظهر .

والله أسأل أن يعطيه من الخير أجزله ومن المثوبة أرقاها ومن الصحة أعلاها .

كما أسأل الله سبحانه أن يجعل عملي خالصا لوجهه ، كما لايفوتني أن أتقدم بوافر الشكر والعرفان لفضيلة عميد الكلية الدكتور/ سعود ابن محمد البشر / الذى حرص كل الحرص على إعدادى وتكويني،التكوين العلمي والذي دائما يكرمني بتوجيهاته الحكيمة .. ووصاياه النفيسة فله مني كل شكر واعتزاز وتقدير .

والله من وراء القصد .... الباحث .....

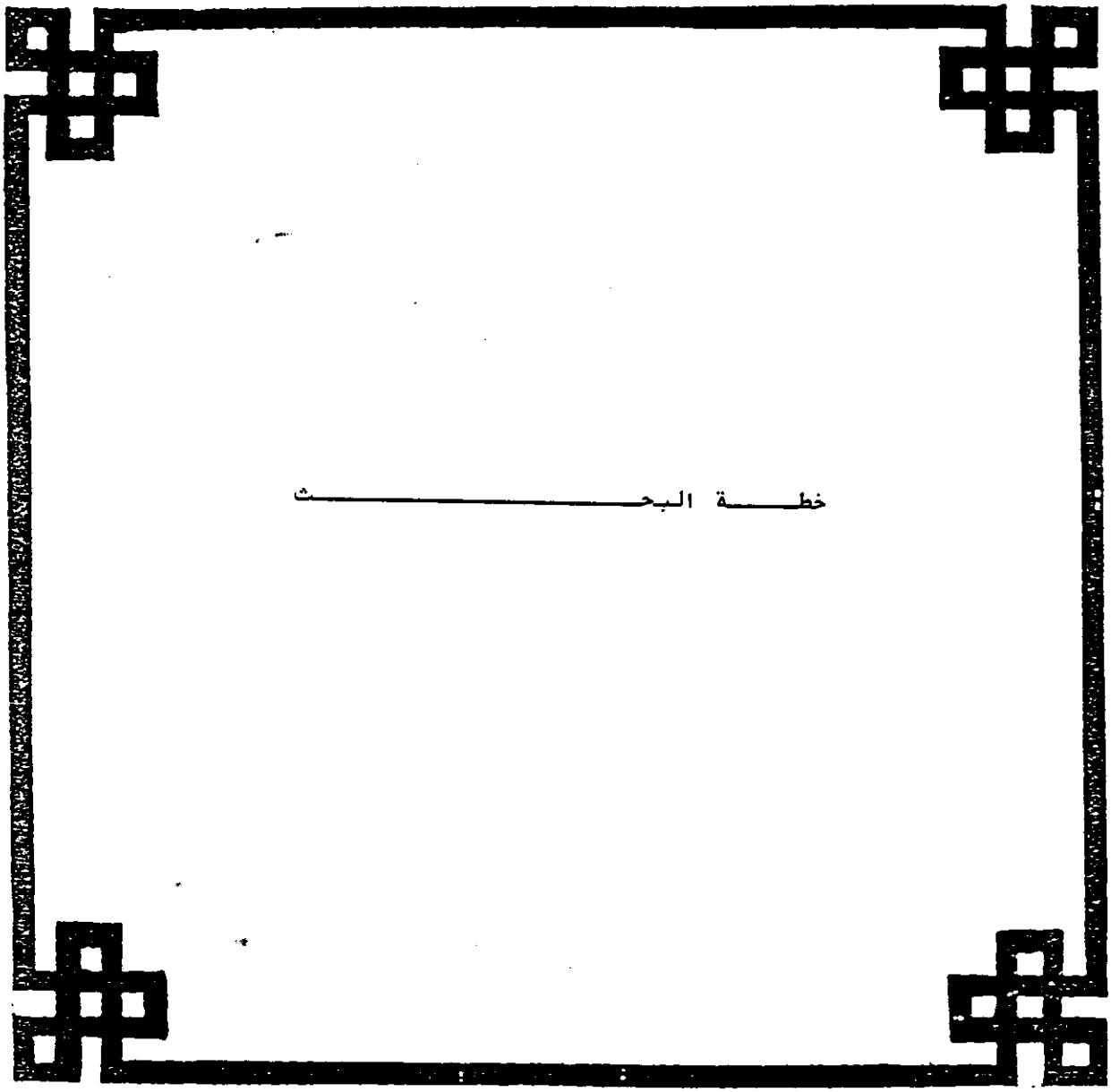
خطـــة البحـــث

خطة البحـــــث

(إعداد الداعية من خلال سورة فصلت)

* التمهيد ويشتمل على :

(١) لمحات عامة عن السورة

(٢) الدعوة الى الله وظيفة الرسل

(٣) القرآن منهج سعادة البشر

* الفصل الأول : التعريف بالدعوة والداعية ، ويشتمل على ثلاثـــة مباحث :ـ

المبحث الأول : التعريف بالدعوة

المبحث الثاني: التعريف بالداعية

المبحث الثالث: حاجة الناس الى الدعوة

* الفصل الثاني : أساليب الدعوة في السورة ويشتمل على ثلاثة مباحث:ـ

المبحث الاول : التبشير والانذار

المبحث الثاني: لفت الأنظار الى مصير الامم السابقة .

المبحث الثالث: لفت الانظار الى آيات الله الكونية .

* الفصل الثالث : مجالات الدعوة في السوره ، ويشتمل على ثلاثـــة مباحث :ـ

المبحث الأول : الدعوة الى الايمان بألوهية الله تعالى.

المبحث الثاني: الدعوة الى الايمان بالحياة الآخرة .

المبحث الثالث: الدعوة الى الايمان بالوحي.

* الفصل الرابع : سمات الداعية في السورة ويشتمل على تسعة مباحث

المبحث الاول : الايمان بالله تعالى

المبحث الثاني: العمل الصالح

المبحث الثالث: التقوى

المبحث الرابع : الاستقامة .

المبحث الخامس : القيام بالدعوة

المبحث السادس : الاستعلاء والاعتزاز والانتماء

المبحث السابع : مقابلة السيئة بالحسنة

المبحث الثامن : الصبر

المبحث التاسع : الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم

* الخاتمة : وفيها أذكر أهم النتائج التي توصلت اليها.

* التمهيـــــــد

ويشتمل على :

(١) لمحات عامة عن السوره

(٢) الدعوة الى الله وظيفة الرسل

(٣) القرآن منهج سعادة البشر .

أولا : لمحات عامة عن السورة :

(١) أسماؤها :

أ ـ تسمى سورة فصلت ، وهذا الاسم هو المشهور للسورة ،وقد ذكر الفصل مرتين : الاولى في قوله تعالى (كتاب فصلت آياته ...) [١] ، والثانية في قوله تعالى: (ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا : لولا فصلت آياته)[٢]

ب ـ وتسمى سورة حم السجدة ، وتتميز بذلك عن ألم السجده

جـ ـ وتسمى سورة السجده ، وهي مصدر مأخوذ من فعل الأمر في قوله تعالى : (... واسجدوا لله الذى خلقهن ..)[٣]

د ـ وتسمى سورة المصابيح ، وقد ورد هذا اللفظ في قوله تعالى : (... وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا)[٤]

هـ ـ وتسمى سورة الأقوات ، . وقد ورد هذا اللفظ في قوله تعالى (.. وقدر فيها أقواتها ..) [٥]

(٢) نوعها وعدد آياتها :

سورة فصلت مكية في قول الجميع ، وعدد آياتها أربع وخمسون آية وقيل ثلاث وخمسون آية .[٦]وهي سبعمائة وست وتسعون كلمة (٧٩٦) وثلاثة آلاف وثلاثمائة وخمسون حرفا (٣٣٥٠)[٧].

---

(١) سورة فصلت الآية :٣

(٢) سورة فصلت الآية :٤٤

(٣) سورة فصلت الاية :٣٧

(٤) سورة فصلت الاية :١٢

(٥) سورة فصلت الاية :١٠ ـ انظر أ ـ الاتقان في علوم القرآن ـ السيوطي ١/٥٤ب ـ عمدة القارى شرح صحيح البخارى ـ العيني ١٤٩/١٩. جـ التفسير الواضح ـ د.محمدمحمودحجازى ٢٤/١

(٦) الجامع لاحكام القرآن ـ القرطبي ٣٣٧/١٥.

(٧) لباب التأويل في معاني التنزيل ـ الخازن ٨٧/٦+عمدة القارىء ـ العيني ١٤٩/١٩.

(٣) سميت سورة فصلت لأن الله تعالى فصل فيها الآيات ووضح فيها الدلائل على وحدانيته وقدرته ، وأقام البراهين الدالة على وجوده وعظمته ،وخلقه لهذا الكون البديع الذى ينطق بجلال الله وعظمته ، ويشهد بواحدانيته في كل ما أبدعه الخالق المدبر الحكيم .(١)

(٤) قضايا السورة

السورة كغيرها من السور المكية والتي تعني بأمور العقيدة وأصول الايمان ، وتعالج شبهات المشركين حول وجود الله ووحدانيته والحياة الاخرة والوحي بالرسالة .يضاف اليها طريقة الدعوة الى الله وخلق الداعية .

وكل مافي السورة هو شرح لهذه الحقائق واستدلال عليها . وعرض لآيات الله في الأنفس والآفاق ، وتحذير من التكذيب بها ،وتذكير بمصارع المكذبين في الاجيال السابقة ، وعرض لمشاهد المكذبين يوم القيامة ، وبيان أن المكذبين من الجن ، والانس هم وحدهم الذين لايسلمون بهذه الحقائق ولا يستاسلمون لله وحده ، بينما السماء والارض والشمس والقمر والملائكة ... كلهم يسجدون لله ويخشعون ويسلمون ويستسلمون .(٢)

وتشتمل هذه السوره على الكلام عن القرآن ، وموقف المشركين منه والتعرض لمظاهر القدرة في خلق الارض والسماء ، ثم تهديد المشركين بمثل ما حل بعاد وثمود ، وتهديدهم بمايحصل لهم يوم القيامة ، ثم الكلام على المؤمنين المستقيمين وبيان

---

(١) ايجاز البيان في سور القرآن ـ محمد على الصابوني ص ١٦٨

وبيان نهايتهم في الدنيا والاخرة ، وذكر بعض أخلاقهم ، ثم ذكر بعض آيات الله الكونية ، والحديث عن القرآن ، وبعض أخلاق الانسان وطباعه وغير ذلك مما يذكر في ثنايا الكلام فتفتح به القلوب ، وتنار به البصائر ، وتزكو به النفوس . (١)

(٥) ماورد في بعض آيات السوره من أحاديث :

قال الشوكاني :

أ ـ أخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وأبو يعلي الحاكم وصححه وابن مردويه ، وأبو نعيم والبيهقي كلاهما في الدلائل ،وابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال : (اجتمع قريش يوما فقالوا انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر ، فليأت هذا الرجل الذى فرق جماعتنا وشتت أمرنا وعاب ديننا فليكلمه ،ولينظر ماذا يرد عليه ؟ فقالوا : مانعلم أحدا غير عتبه بن ربيعة فقالوا : أنت يا أبا الوليد ، فأتاه فقال : يامحمد أنت خير أم عبد الله ،أنت خير أم عبد المطلب ، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فان كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الالهة التي عبت وان كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك ، أماوالله مارأينا سخلة قط أشأم على قومك منك ، فرقت جماعتنا وشتت أمرنا وعبت ديننا وفضحتنا في العرب ، حتى لقد طار فيهم أن في قريش ساحرا وأن في قريش كاهنا ، والله ما تنتظر الا مثل صيحة الحبلى أن يقوم بعضنا الى بعض بالسيوف ، يارجل ان كان انما بك الحاجة جمعنا لك حتي تكون أغنى قريش رجلا ،وان كان انما بك الباءة فاختر أى نساء قريش شئت فلنزوجنك عشرا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فرغت ؟ قال : نعم ، فقال رسول الله

---

(١) التفسير الواضح د . محمد محمود حجازى ٢٤/٥١.

صلى الله عليه وسلم : بسم الله الرحمن الرحيم : (حم . تنزيل من الرحمن الرحيم . كتاب فصلت آياته ...) حتى بلغ (فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ...) فقال عتبه : حسبك حسبك ما عندك غير هذا ؟ قال : لا ، فرجع الى قريش ، فقالوا : ماوراءك؟ قال : ماتركت شيئا أرى أنكم تكلمونه به الا كلمته ، فقالوا : فهل أجابك ؟ قال : والذى نصبها بنيه ما فهمت شيئا مما قال غير أنه أنذركم مثل صاعقة عاد وثمود ، قالوا : ويلك ويلك يكلمك الرجل بالعربية وماتدرى ماقال ؟ قال : لاوالله مافهمت شيئا مما قال غير ذكر الصاعقة)

وأخرج أبو نعيم والبهيقي كلاهما في الدلائل :

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : (لما قرأ النبي صلى الله عليه وسلم على عقبه ابن ربيعه (حم . تنزيل من الرحمن الرحيم ..) أتي أصحابه فقال : ياقوم : أطيعوني في هذا اليوم وأعصوني بعده ، فوالله لقد سمعت من هذا الرجل كلاما ماسمعت أذني قط كلاما مثله ، وما دريت ما أرد عليه) (1)

ب ـ قال ابن كثير :

قال ابن جرير :حدثنا هناد بن السرى حدثنا أبو بكر بن عياشعن ابن سعيد التبال عن عكرمه عن ابن عباس قال هناد : قرأت سائر الحديث أن اليهود أتت النبي صلي الله عليه وسلم فسألته عن خلق السموات والارض فقال صلي الله عليه وسلم " خلق الله تعالى الارض يوم الاحد ويوم الاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء ومافيهم من منافع وخلق يوم الاربعاء : الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب ، فهذه أربعة أيام (قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق

---

(1) فتح القدير ، الشوكاني ٤:٥٠٤ ، انظر كذلك للاستزادة : الجامع لاحكام القرآن ـ القرطبي١/٣٣٨ومابعدها. تفسير القرآن العظيم ـ ابن كثير ٤/٩٠ومابعدها.

الارض في يومين وتجعلون له أندادا . ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين).

سأله قال، وخلق يوم الخميس : السماء ،وخلق يوم الجمعة : النجوم والشمس والقمر والملائكة الى ثلاث ساعات بقيت منه ، وفي الثانية : ألقى الافه على كل شيء مما ينتفع به الناس وفي الثالثه : آدم وأسكنه الجنة وأمر ابليس بالسجود له ، وأخرجه منها في آخر ساعة ، ثم قالت اليهود : ثم ماذا ياخالد ؟ (٢) قال ثم استوى على العرش قالوا: قد أصبت لو أتممت . قالوا : ثم استراح ، فغضب النبي صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا فنزل (ولقد خلقنا السموات والارض ومابينهما في ستة أيام ومامسنا من لغوب فاصبر على مايقولون) (٣)

جـ ـ قال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا علي بن قادم حدثنا شريك عن عبيد المكتب عن الشعبي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : ضحك النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم أو تبسم فقال صلى الله عليه وسلم (ألا تسألوني عن أى شيء ضحكت ؟) قالوا يارسول الله من أى شيء ضحكت ؟ قال صلى الله عليه وسلم (عجبت من مجادلة العبد ربه يوم القيامه يقول : أى رب أليس وعدتني ألا تظلمني قال : بلى فيقول فاني لا أقبل عليّ شاهدا الا من نفسي فيقول الله

---

(٢) عند الشوكاني ٤،٥٠٩: ثم ماذا يامحمد؟

(٣) سورة ق الايتان ٣٨ ،٣٩ ، قال ابن كثير : هذا الحديث غرابه وأما حديث ابن جريح عن اسماعيل ابن اميه عن أيوب ابن خالد عن عبدالله بن رافع عن أبي هريره فقد رواه مسلم بتحقيق محمد فوءادعبد الباقي ، بلفظهفي كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، باب ابتداء الخلق وخلق آدم عليه السلام . جـ ٤ / ص ٢١٤٩. رقم الحديث ٢٧٨٩. طبع دار احياء التراثالعربي بيروت . والترمذى في كتابيهما من حديث ابن جريح به وهو من غرائب الصحيح وقد عللهالبخارىفي التاريخ،فقال رواه بعضهمعن أبي هريرة رضي الله عنه عن كعب الاحبار وهو الاصح.

تبارك وتعالى أو ليس كفي بي شهيدا وبالملائكة الكرام الكاتبين ؟قال فيردد هذا الكلام مرارا ، قال : فيختم على فيه وتتكلم أركانه بما كان يعمل ، فيقول بعدا لكن سحقا ، عنكن كنت أجادل .(١)

د ـ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : اجتمع عند البيت ثلاثة نفر : ثقفيان وقرشي ، أو قرشيان وثقفي ، كثير شحم بطونهم قليل فقه قلوبهم ، فقال أحدهم : أترون أن الله يسمع مانقول؟ فقال الاخر : يسمع ان جهرنا ولايسمع ان أخفينا ،وقال الاخر : ان كان يسمع اذاجهرنا فهو يسمع اذا أخفينا ، فأنزل الله عز وجل : (وماكنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ..) (٢)

وعن ابن مسعود قال : كنت مستترا بأستار الكعبة فجاء ثلاثة نفر كثير شحم بطونهم ، قليل فقه قلوبهم : قرشي وختناه ثقفيان ، أو ثقفي وختناه قرشيان ، فتكلموا بكلام لم أفهمه ، فقال أحدهم : أترون أن الله يسمع كلامنا هذا ، فقال الاخر : انا اذا رفعنا أصواتنا سمعه واذا لم نرفع أصواتنا لم يسمعه ، فقال الاخر : ان سمع منه شيئا سمع كله ،قال عبد الله : فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله

---

(١) المصدر السابق / ٩٦/٤ ،قال ابن كثير : ثم رواه هو وابن ابي حاتم من حديث أبي عامر الاسدي عن الثوري عن عبيد بن المكتب عن فضل بن عمر الشعبي . وقد أخرجه مسلم والنسائي عن ابي بكر بن أبي النضر عن أبي النضر عن عبد الله بن عبد الرحمن الاشجعي عن الثوري به .

(٢) سورة فصلت الاية : ٢٢ ، وأخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير باب (وماكنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم .) ٥٦١:٨ رقم ٤٨١٦ وأخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين ٢١٤١/٤ رقم ٢٧٧٥ وأخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن ، باب سورة حم السجده ٣٧٥/٥ رقم ٣٢٤٨ تحقيق أحمد شاكر .

(وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ،ولكن ظننتم أن الله لايعلم كثيرا مما تعملون وذلك ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين) (١)

هـ - وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ : (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ...) (٢)

قال : قد قال الناس ثم كفر ، أكثرهم ، فمن مات عليها فهو ممن استقام) (٣)

---

(١) سورة فصلت الاية ٢٢ ، ٢٣

وأخرجه الترمذى في كتاب تفسير القرآن ،باب سورة حم السجده ٣٧٦/٥ رقم ٣٢٤٩ وحسنه .

(٢) سورة فصلت الاية ٣٠

(٣) أخرجه الترمذى في كتاب التفسير ، باب حم السجده ٣٧٦/٥ رقم ٣٢٥٠

انظر : جامع الاصول - باب الاثير ٣٤٥/٢.

(٦) فضائل السوره :

ورد في بعض الاحاديث تثبيت فضلا خاصا للسوره وحدها .

وورد احاديث اخرى تثبت فضل الحواميم عموما ، وتدخل سورة فصلت فيها .

أ ـ الاحاديث الوارده في فضائل السوره خاصة :

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لاينام حتي يقرأ تبارك وحم السجده (١)

ويؤيد هذا الحديث ، حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنه ، والحسنه بعشر أمثالها ، لا أقول : ألم حرف ، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف) (٢)

---

(١) اخرجه احمد في المسند ٣٤٠/٣ ، والترمذى في كتاب فضائل القران باب ماجاء في فضل سورة الملك ١٦٤/٥ رقم ٢٨٩٢، واخرجه الدارمي في كتاب فضائل القران ، باب في فضل سورة تنزيل السجده . وتبارك ٤٥٤/٢

---

(٢) اخرجه الترمذى وقال حسن صحيح غريب من هذا الوجه في كتاب فضائل القران ، باب ماجاء فيمن قرأ حرفا من القران . ماله من الاجر فيه ١٧٥/٥ رقم ٢٩١٠ واخرجه الدارمي في السنن ، كتاب فضائل القران ،باب فضل من قرأ القران ٤٢٩/٢

ب ـ الأحاديث الواردة في فضائل الحواميم :

(١)

عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً قال : (الحواميم ديباج القرآن)

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال (ان لكل شيء باب وباب القرآن الحواميم) (٢)

وعن سمره بن جندب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الحواميم روضه من رياض الجنه) (٣)

وعن الخليل بن مره مرسلا قال (الحواميم سبع وابواب جهنم سبع يجيء كل حاميم منها يقف علي باب من هذه الابواب يقول :

اللهم لاتدخل هذا الباب من كان يؤمن بي ويقرأ عني) (٤)

وعن سعد بن ابراهيم قال : كن الحواميم يسمين العرائس) (٥)

---

(١) اخرجه الحاكم في المستدرك في كتاب التفسير ، تفسير سورة حم المؤمن ٢/٤٣٧.

(٢) اخرجه هناء السرى في كتاب الزهد مقتصرا على شطره الاول كما ذكره صاحب كنز العمال ـ حسام الدين الهندى ـ ٨/٤٤٧ رقم ٢٣٥٨٦

(٣) اخرجه ابن مردويه عن سمره وذكره في كنز العمال وعزاه له ١/٥٨٠ رقم ٢٦٢٣.

(٤) انظر : كنز العمال ـ حسام الدين المتقي الهندى ١/٥٧٩ رقم ٢٦٢١ وعزاه ، للبيهقي في شعب الايمان.

(٥) اخرجه الدارمي في كتاب فضائل القران باب فضل حم الدخان ، والحواميم والمسبحات . ٢/٤٥٨.

(٧) أسماء القرآن وصفاته في سورة فصلت :

للقرآن أسماء متعددة ، وقد ورد فيمجموعة من الايات في سورة فصلت بعض الاسماء وقد سمي الله القرآن الكريم حقا ووحيا وهدى وشفاء ونذيرا وتنزيلا وكتابا وقرآنا وآيات وذكرى .

قال تعالى : (حم . تنزيل من الرحمن الرحيم) (١)

وقال تعالي : (كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون) (٢)

وقال تعالى : (بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لايسمعون) (٣)

وقال تعالى : (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي إنّما إلٰهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين) (٤)

وقال تعالي : (وقال الذين كفروا لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون) (٥)

وقال تعالى : (ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون) (٦)

وقال تعالى : (إنّ الذين يلحدون فيآياتنا لايخفون علينا أفمن يلقي في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة اعملوا ماشئتم انه بما تعملون بصير) (٧)

وقال تعالى : (ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وانه لكتاب عزيز) (٨)

وقال تعالى : (لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) (٩)

وقال تعالى : (ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لايؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد) (١٠)

---

(١) سورة فصلت الايه : ١ ، ٢

(٢) سورة فصلت الاية : ٣

(٣) سورة فصلت الاية : ٤

(٤) سورة فصلت الاية : ٦

(٥) سورة فصلت الاية : ٢٦

(٦) سورة فصلت الاية : ٢٨

(٧) سورة فصلت الاية : ٤٠

(٨) سورة فصلت الاية : ٤١

(٩) سورة فصلت الاية : ٤٢

(١٠) سورة فصلت الاية : ٤٤ ، انظر الهدى والبيان في أسماء القرآن صالح البليهي ـ ٤٤٤ ـ ٤٤٥.

(٨) القراءات الواردة في السوره :

(نحسات)

قرأ الكوفيون وابن عامر : بكسر

وقرأ الباقون : بالاسكان

(يحشر أعداء الله)

قرأ نافع : بنون مفتوحه وضم الشين ، ونصب أعداء

وقرأ الباقون : بياء مضمومةوفتح الشين ،ورفع أعداء

(أعجمي)

قرأ أبو بكر ،وحمزه والكسائي : بهمزتين محققتين

وقرأ هشام : بهمزة واحدة على الخبر

وقرأ الباقون : بهمزة ومده من باب التسهيل

(ثمرات)

قرأ نافع وابن عامر وحفص بالجمع

وقرأ الباقون بالتوحيد (١)

(ســـواء)

قرأ أبو جعفر : بالرفع

وقرأ يعقوب : بالخفض

وقرأ الباقون : بالنصب (٢)

---

(١) التبصره ـ مكي بن أبي طالب ـ ص ٤٩٥ ، ٠٤٩٦

(٢) النشر في القراءات العشر ـ ابن الجزر ى ـ ٠٢٨٨/٣

ثانيا : الدعوه الى الله وظيفة الانبياء والرسل :

كل مخلوق على هذه الحياة خلق ليقوم بواجب معد له وليوءدى دوره ووظيفته في هذه الحياة وفقا لارادة الله سبحانه وتعالىووفقا لنظامهذا الكون العظيم.

وان من أبرز واجبات ووظائف الانبياء والمرسلين تجاه الناس : هي دعوتهم الى الله تعالى ووعدهم بالجنة وتخويفهم من النار بأساليب متعددة ، بل ان الحكمة من اعداد النبي وتأهيله واصطفائه انما هو لحمل الرسالة العظيمة ليبلغها الى الناس.

(ولقد بعثنا في كل امة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) (١)

وفي حق رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى له :

(يا أيها النبي بلغ ما أنزل اليك من ربكوان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس..) (٢)

وقالتعالى : (يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنهوسراجا منيرا ..) (٣)

وقال تعالى : (وادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم) (٤)

والدعوة الى الله تعالى : هي وظيفة المرسلين الذين اختارهم الله عز وجل ـ لحمل رسالته وتبليغها الى الناس، ولهذا فهي من أشرف الوظائف وأهمها ، لان الرسل هم أشرف خلق الله وأحبهم اليه ـ سبحانه ـ فوجب أن تكون وظيفتهم بهذه المنزلة الرفيعة. (٥)

---

(١) سورة النمل الاية ٣٦ (٢) سورة المائدة الاية : ٦٧

(٣) سورة الاحزاب الايتان : ٤٥ ، ٤٦

(٤) سورة الحج الاية : ٦٧

(٥) أسس الدعوة وآداب الدعاة ـ محمد السيد الوكيل ـ ص ١٥.

والله سبحانه قد كلف الرسل بالدعوة الى الله ومن أجلها خلقهم وكلهم بلاستثناء دعوا أقوامهم ممن أرسلوا اليهم الى الايمان بالله وافراده بالعبادة على النحو الذى شرعه له .

قال تعالى : عن نوح عليه السلام : (لقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره)(١)

وقالتعالى عن هود عليه السلام : (والى عاد أخاهم هودا ،قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ..)(٢)

وقال تعالى عن صالح عليه السلام : (والى ثمود أخاهم صالح ،قال ياقوم اعبدوا الله مالكمن اله غيره ..)(٣)

وقال تعالى عن شعيب عليه السلام : (والىمدين أخاهم شعيبا ،قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ..)(٤)

---

(١) سورة الاعراف الاية : ٥٩

(٢) سورة هود الاية : ٥٣

(٣) سورة الاعراف الاية : ٧٣

(٤) سورة الاعراف الاية : ٨٥ .

وهكذا جميع رسل الله دعوا الى الله ، والى عبادته وحده ،والتبروء من عبادة ماسواه .

قال تعالى : (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدو الله واجتنبوا الطاغوت ..)(١)

فرسل الله هم الدعاة الى الله ، وقد اختارهم الله لحمل دعوته وتبليغها الى الناس والله سبحانه قد فرض على المسلمين أن يحملوا مواريث النبوة ، وأن يضطلعوا بأعباء الرسالة ، ويقودوا الناس الي الله ويوجهوهم وجهة الحق والخير . فتعلو بذلك انسانيتهم ، وتسموا مواهبهم ، ويحققوا معاني الهدى والرشاد وبهذا وحده كانت هذه الامة خير الامم .

قال تعالى : (كنت خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، وتوءمنون بالله ..)(٢)

وأمة هذا شأنها ، تنال من رحمة الله مايجمع شملها ، ويصلح ذات بينها ويقيها السوء ويدفع عنها المفاسد والشرور ويظلهم في ظله الذى لا يشقى من استظل به :

قال تعالى : (والموءمنون والموءمنات بعضهم أولياء بعض ،يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويوءتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله ،أولئك سيرحمهم الله ..)(٣)

فتسلم من النقص والخسران وتسير الى غايتها الكبرى من العلم النافع والعمل الصالح والتوجيه الحق .

قال تعالى : (والعصر ، ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات . وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر)(٤).

---

(١) سورة النمل الاية : ٣٦

(٢) سورة آل عمران الاية : ١١٠

(٣) سورة التوبة الاية : ٧١ (٤) سورة العصر بكاملها.

ومن ثم يمكن لها في الارض ، وتقوم بخلافة الله في تنفيذ أمره ونهيه

قال تعالى : (.. ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروابالمعروف ونهو ا عن المنكر ولله عاقبة الامور) (١)

واذا كان لفريضة الدعوة هذه الاثار البعيدة المدى في حياة الامة فان لاهمالها والاستهانة بها آثارا عكسية في حياة الامة من الاستخفاف بالدين والتنكر للعقائد والاستهتار بالاخلاق والتهوين من شأن الفضائل والخروج على العرف الصالح والاقلال من العادات الحسنة ثم التخلص من كل القيود الادبية التي ترقي بالفرد وتنهض بالمجتمع مما يعرض الامة للعقاب الصارم كنتيجة حتمية للاخلال بالقيم العليا التي هيقوام الفرد والجماعة . (٢)

---

(١) سورة الحج الاية : ٤١

(٢) دعوة الاسلام ـ سيد سابق ـ ٢٨٥ ، ٢٨٦ بتصرف

* حكم تبليغ الدعوه :

وكل مسلم مكلف بالدعوة الى الله تعالى ،

ولعل من أبرز الادلة على ذلك قول الله تبارك وتعالى :

(قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين . (١)

قال ابن كثير :

يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم الى الثقلين الجن والانس آمراً أن يخبر الناس أن هذه سبيله : أى طريقته ومسلكه وسنته وهي الدعوة الى شهادة أن لا اله الا الله وحده لاشريك له ، يدعو الى الله بها على بصيرة من ذلك ويقين وبرهان هو وكل من اتبعه يدعو الى مادعا اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم على بصيرة ويقين وبرهان عقلي وشرعي . (٢)

وقال سيد قطب :

(قل هذه سبيلي ...) واحدة مستقيمة ، لاعوج فيها ولا شك ولاشبهة .

---

١) سورة يوسف الاية : ١٠٨

(٢) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ٤٩٥ - ٤٩٦.

(أدعوالى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ..) فنحن على هدى من الله وعوز ، نعرف طريقنا جيدا ، ونسير فيها علي بصر وادراك ومعرفة ، لانخبط ولانتحسس ،ولا نحدس ، فهو اليقين البصير المستنير . ننزه الله سبحانه عما لايليق بألوهيته ،وتنفصل وتنعزل وتتميز عن الذينيشركون به .

(وما أنا من المشركين) لاظاهر الشرك ولاخافيه .

هذه طريقتي فمن شاء فليتابع ، ومن لم يشأ فأنا سائر في طريقي المستقيم.

وأصحاب الدعوة الى الله لابد لهم من هذا التميز ، لابد لهم أن - يعلنوا أنهم أمة وحدهم ، يفترقون عمن لايعتقد عقيدتهم ولايسلك مسلكهم ولا يدين لقيادتهم ويتميزون ولايختلطون ولايكفي أن يدعو أصحاب هذا الدين الى دينهم وهم متميعون في المجتمع الجاهلي . فهذه الدعوة لا تؤدى شيئا ذا قيمة ، انه لابد لهم منذ اليوم الاول أن يعلنوا أنهم شيء اخر غير الجاهلية ،وان يتميزوا بتجمع خاص ،آصرته العقيدة المتميزة وعنوانه العقيدة الاسلامية .. لابد أن يميزوا أنفسهم من المجتمع الجاهلي وأن يميزوا قيادتهم من قيادة المجتمع الجاهلي أيضا .(١)

فمن اللوازم الضرورية لايمان المسلم أن يدعو الى الله ، فاذا تخلف عن الدعوة دلتخلفه هذا على وجود نقص أو خلل في ايمانه ، يجب تداركه بالقيام بهذا الواجب ، واجب الدعوة الى الله تعالى .(٢)

---

(١) في ظلال القرآن - سيد قطب - ٢٠٣٤/٤.

(٢) أصول الدعوة - عبد الكريم زيدان ٢٩٩ - ٣٠٠ .

وقد دلت الادلة من الكتاب والسنة على وجوب الدعوة الى الله عز وجل وأنها من الفرائض.

وقد صرح العلماء أن الدعوة فرض كفاية بالنسبة الى الاقطار التي يقوم فيها الدعاة فان كل قطر وكل اقليم يحتاج الى الدعوه والي النشاط فيها وتصبح الدعوة في حق الباقين سنة موءكده وعملا صالحا جليلا.

واذا لم يقم أهل الاقليم واهل القطر المعين بالدعوة الى التمام صار الاثم عاما وصار الواجب على الجميع وعلى كل انسان أن يقوم بالدعوة حسب طاقته وامكانه .(١)

---

(١) بحث الموءتمر العالمي لتوجيه الدعوة واعداد الدعاة المنعقد بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ـ اللجنة الاولى ، مقال لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز . ص ٤ ،٥.

ثالثا :

القرآن منهج سعادة البشر

ان القرآن الكريم كتاب هداية وسعادة وشفاء ونور وهو كتاب أحكام وتكاليف وهو كتاب إعجاز وتحد ، فدروب الخير كلها تنهل من معينه الصافي الذي لاينضب فمن تمسك به هدي إلى صراط مستقيم ، ومن قال به : صدق ، ومن حكم به عدل وما تمسكت أمة من الأمم بتعاليم ربها الا كان لها من الحظ والشرف والمكانة القدر الرفيع ، ولنا في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أروع الأمثله في اتباعهم منهج القرآن في حياتهم بكاملها .

فقد ورد : أنهم كانوا لايتجاوزون العشر آيات حتى يتعلموا مافيها من العلم والعمل . عن أبي عبد الرحمن السلمي : قال : حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن ، كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود ، وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا مافيها من العلم والعمل . قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا . (١)

فالقرآن سعادة للبشر الذين يهتدون بهديه وينصاعون لأوامره . ويؤكد سيد قطب : على أن هناك ظاهرة تاريخية ينبغي أن يقف أمامها أصحاب الدعوة الاسلامية في كل أرض وفي كل زمن وقفة طويلة ، وذلك أنها ذات أثر حاسم في منهج الدعوة واتجاهها .

لقد خرجت هذه الدعوة جيلا من الناس جيل الصحابة رضوان الله عليهم جيلا متميزا في تاريخ الاسلام كله . في تاريخ البشرية جميعه .

(١) =

فلقد كان النبع الأول الذى استقى منه ذلك الجيل هو نبع القرآن القرآن وحده ، فلقد كان القرآن وحده اذن هو النبع الذى يستقون منه ويتكيفون به ، ويتخرجون عليه ، ولم يكن ذلك كذلك لأنه لم يكن للبشرية يومها حضارة ولا ثقافة ولاعلم ولا مؤلفات ولا دراسات ...كلا "

فقد كانت هناك حضارة الرومان ومخلفات الحضارة الاغريقية وحضارة الفرس وحضارات أخرى قاصية ودانية والحاصل : وجدت هذه الحضارات - البشريه ولكنها لم تسهم في إسعاد روح الفرد ، بينما فعل القرآن فعلته العجيبة في نفوس البشر بمجرد سماعهم له ، فأحدث دويا في نفوسهم وتحوّلا في سلوكهم ومعتقداتهم وتغيّرا في وجدانهم وعند ذلك أوجد حلاوة الايمان بعد أن حدث ذلك الانقلاب العجيب في نفوس البشر فحوّلهم من الضلالة إلى الهدى ومن الكفر إلى الايمان . ومن القلق إلى الراحة.(٢)

ويتحدث القرآن الكريم في آيات عديدة بأنه كتاب هداية وسعادة وبرهان.

= (١) اخرجه عبد الرزاق الصنعاني في المصنف ، كتاب فضائل القرآن ، باب تعليم القرآن وفضله ٣٨٠/٣ رقم ٦٠٢٧.

(٢) معالم في الطريق . سيد قطب - ١١ - ١٤ بتصرف .

قال تعالى : (.... هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون)[1]

وقال تعالى : (هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ....)[2]

وقال تعالى : (.. قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لايؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمي أولئك ينادون من مكان بعيد)[4]

وقال تعالى : (هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون)[5]

قال سيد قطب حول آية فصلت المتقدمة :

ويجد الانسان مصداق هذا القول في كل زمان وفي كل بيئة . فنـــاس يفعل القرآن في نفوسهم فينشئها انشاء ، ويحييها احياء ، ويصنع بهـا ومنهـا العظائم في ذاتها وفيما حولها ، وناس يثقل هذا القرآن علـــى آذانهم وعلى قلوبهم ولايزيدهم الا صمما وعمي ، وماتغير القرآن ولكـــن تغيرت القلوب .[6]

وقال عبد الرحمن السعدى حول آية الجاثية :

(هذا) القرآن الكريم والذكر الحكيم (بصائر للناس) أى:تحصل به التبصره في جميع الامور للناس فيحصل به الانتفاع للمؤمنين .

(وهدى ورحمة لقوم يوقنون) فيهتدون به الى الصراط المستقم فـــي أصول الدين وفروعه ويحصل به الخير والسرور والسعادة في الدنيـــــا والاخرة وهي الرحمة . فتزكو به نفوسهم وتزداد به عقولهم ، ويزيد بـــه ايمانهم ويقينهم وتقوم به الحجة على من أصر وعاند .[7]

---

(١) سورة الاعراف الاية : ٢٠٣

(٢) سورة التوبة الاية : ٣٣

(٣) سورة النمل الاية : ٨٩

(٤) سورة فصلت الاية : ٤٤

(٥) سورة الجاثية الاية : ٢٠ (٦) في ظلال القرآن . سيد قطب ٠٣١٢٨/٥

(٧) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنام ـ عبد الرحمن السعدى ٠٢٦/٧

* الفصل الأول :

التعريف بالدعوة والداعية ويشتمل على ثلاثة مباحث :

* المبحث الأول : التعريف بالدعوة
* المبحث الثاني : التعريف بالداعية
* المبحث الثالث : حاجة الناس الى الدعوة

* المبحث الأول :

التعريف بالدعوة

* التعريف بالدعـــوة :

أولا : الدعوة في اللغـــة :

الدعوة : (دعا) ـ يدعو ، دعاء ، ودعوة .

وبعض العرب يؤنث الدعوة بالالف فيقول : الدعوى (١)

والدال والعين والحرف المعتل أصل واحد ،تقول دعوت ، أدعو ،دعاء(٢)

ومعاني الدعوة في اللغة كثيرة أبرزها :

(١) النداء . يقال دعا فلان فلانا اذا ناداه ، ودعوت الرجل اذا صحت به واستدعيته .(٣)

والدعاء كالنداء الا أن النداء قد يقال بيا أو ايا أو نحو ذلك من غير أن يضم اليه الاسم والدعاء لايكاد يقال الا اذا كان معه الاسم نحو يافلان ، وقد يستعمل كل منهما موضع الاخر مثل قوله تعالى :

(ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بمالايسمع الا دعاء ونـــــداء صم بكم عمي فهم لايعقلون) (٤)

(٢) الدعاء الي الشي ء ، بمعني الحث علي قصده (٥)

مأخوذه من أدعوه كأن يقال : أدعوه الى الصلاة بمعني أحثه علـــــى قصد الصلاة .(٦)

---

(١) تاج العروس . محمد مرتضي الزبيدى ١٢٦:١٠

(٢) معجم مقاييس اللغة ـ ابن فارس ٢٧٩/٢

(٣) أساس البلاغة ـ الزمخشرى ـ ٢٧٢/١ + لسان العرب لابن منظور٢٦٠/١٤

(٤) ،(٥) سورة البقرة الاية ١٧١ ، المفردات في غريب القرآن ـالاصفهاني ص ١٧٠.

(٦) مختار الصحاح للرازى ص ٢٠٦.

(٣) الدعوة الى قضية يراد اثباتها والدفاع عنها سواء كانت حقا أم باطلا .

فمن الباطل : حكاية القرآن عن يوسف عليه السلام في قوله (قال رب السجن أحبّ إلي ممّا يدعونني إليه .....) (١)

أي من طاعة النسوة والوقوع في الاثم.

ومن الحق : قوله تعالى : (له دعوة الحق) (٢)

وقوله (والله يدعو إلى دار السلام .....) (٣)

(٤) المحاولات القوليّة أو الفعليّة والعمليّة ،لإحالة النّاس إلى الداعية أيّاكان بصوت وكلام . (٤).

---

(١) سورة يوسف الاية : ٣٣

(٢) سورة الرعد الاية : ١٤

(٣) سورة يونس الاية : ٢٥

(٤) معجم مقاييس اللغة ـ ابن فارس ٢/٢٧٩.

(٥) الابتهال والسوءال :

دعوت الله أدعوه دعاء أى ابتهلت اليه بالسوءال ورغبت فيما عنده من الخير . ومنه قوله تعالى (ادعوا ربكم تضرعا وخفية)(١)

(٦) الدعوة الى الطعام ، يقال كذا في دعوة فلان ،ومدعاة فلان.(٢)

(٧) الدعاء : الرغبة الى الله تعالي

وتداعوا عليه أى تجمعوا ، ودعاه : ساقه . ودعوته : سميته ، والدعوة : الحلف .

فخلاصة هذ ه المعاني هي الرغبة والتجمع والسوت والتسمية والحلف(٣)

والدعوة الى الطعام بالفتح ،والدعوة في النسب بالكسر

قال ابو عبيده : يقال في النسب دعوة وفي الطعام دعوة . وهذا أكثر كلام العرب الا عدى الرباب فانهم ينصبون الدال في النسب ويكسرونها في الطعام وداعية اللبن :مايترك في الضرع ليدعو مابعده وهذا تمثيل وتشبيه . (٤)

والدعي : كغني من تبنيه ، أى اتخذته ابنالك ،قال تعالى (وماجعل أدعياءكم أبناءكم) (٥)

ويطلق الدعي أيضا على المتهم في نسبه والجمع أدعياء

وتداعي عليه العدد من كل جانب أى أمثل، وتداعت الحيطان أى انقاضت

---

(١) سورة الاعراف ، الاية : ٥٥ ـ انظر المصباح المنير ٢٣١/١+تاج العروس

(٢) مختار الصحاح ـ الرازى ٢٠٥ (محمد مرتضي الزبيدى١٢٦/١٠)٠

(٣) القاموس المحيط ـ فيروز آبادى ٣٢٩/٤

(٤) معجم مقاييس اللغة ـ ابن فارس ٢٧٩/٢ ـ ٢٨٠

(٥) سورة الاحزاب الاية : ٤٠

والدعوه هي المره الواحده ، دعوت له بخير وعليه بشر

والادعاء هو : الاعتزاء في الحرب لانهم يتداعون بأسمائهم يقول أحدهم أنا ابن فلان وما أشبه ذلك .

ودعا الميت : ندبه كأنه ناداه .

والادعاء : التمني وبه فسر قوله تعالى : (لهم فيها فاكهة ولهم مايدعون) (١)

والدعاء : العبادة والاستغاثه ومن الثاني قوله تعالى : (وادعوا شهداءكم) (٢) أى استغيثوا بهم (٣)

فمن الاول قوله تعالي : (ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم) (٤)

---

(١) سورة يس الاية : ٥٧

(٢) سورة الاعراف الاية : ١٩٤

(٣) سورة البقرة الاية : ٢٣

(٤) تاج العروس ـ محمد مرتضي الزبيدى ١٠/١٢٧ـ ١٢٨.

والدعاء لله على ثلاثة أوجه :

أ ـ فضرب منها توحيده والثناء عليه كقولك يا الله لا اله الا أنت وكقولك : ربنا لك الحمد ، اذا قلته فقد دعوته بقولك ربنا ، ثم أتيت بالثناء والتوحيد.

ب ـ وضرب منها : مسألة الله العفو والرحمة ومايقرب منه كقولك اللهم اغفر لنا .

جـ ـ والضرب الثالث : مسألة الحظ من الدنيا كقولك اللهم ارزقني مالا وولدا.

وانما سمي هذا جميعه دعاء لان الانسان يصدر في هذه الاشياء بقوله : يا الله يارب يارحمن ، فلذلك سمي دعاء .(١)

والدعوة بمعني الدعاء أو الدعاية ومنه ماورد في قول النبي صلى الله عليه وسلم في كتابه الى هرقل : (أدعوك بدعاية الاسلام) أى بدعوته .(٢)

والحاصل مما سبق فان كلمة دعوة تعني المحاولات القولية والفعلية التي يقدم بها الدعاء لاستمالة الناس وتوصيلهم الى هدف معين أو عمل كالمناداة والطلب والرغبة والحث والاستقامة والابتهال. الخ

وهي لفظ مشترك يطلق على الاسلام ويطلق على عملية نشره وتبليغه.

والذى يحدد المقصود منها والمعني المراد هو : السياق الذى ورد فيه ،فاذا قيل : هذا من رجال الدعوة الى الله ،كان معني الدعوة هنا : محاولات النشر والتبليغ وان قيل: اتبعوا دعوة الله كان المراد بها الاسلام نفسه .(٣).

---

(١) لسان العرب ـ ابن منظور ٢٥٧/١٤. (٢) جزء من خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم الى هرقل ملك الروم والخطاب بكامله : من محمد ابن عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد: فبالحق أدعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم يوءتك الله أجرك مرتين.فان توليت فان عليك اثم الاريسيين)صحيح البخاري كتاب بدء الوحي ٣١/١ رقم ٦ (٣) الدعوة الاسلامية أصولها ووسائلها د. احمد غلوش ص ١٠

ثانيا : الدعوة في الاصطلاح :

من المعلوم أن الدعوة بمعني النشر والبلاغ صارت علما مستقلا له موضوعه وخصائصه وأهدافه . وهو بذلك يواكب سائر العلوم الاسلامية يفيدها ويستفيد منها ، ويشاركها في افادة الاسلام برسم طريق منهجي يكفل له الانتشار والذيوع .

ومن المعلوم كذلك أن الدعوة بمعني الدين اذا اطلقت لايراد منها الا الاسلام بتعاليمه وبذلك فان التعريف الاصطلاحي للدعوة بمعناها الاول يغاير تعريف الدعوة بالمعني الثاني . ولهذا وجب ذكر التعريف الاصطلاحي لكلا المعنيين:

أ ـ الدعوة بمعني النشر هي :

(١) قيام العلماء المستنيرين في الدين بتعليم الجمهور من العامة ما يبصرهم بأمور دينهم ودنياهم على قدر الطاقة.(١)

(٢) حث الناس علي الخير والهدى والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل .(٢)

(٣) نقل أمة من محيط الي محيط .(٣)

(٤) برنامج كامل يضم في أطواله جميع المعارف التي يحاج اليها الناس ليبصروا الغاية من محياهم وليستكشفوا معالم الطريق التي تجمعهم راشدين .(٤)

(٥) صرف أنظار الناس وعقولهم الى فكرة أو عقيدة ، وحثهم عليها.

---

(١) الدعوة الاسلامية ـ د. أبو بكر ذكرى ص ٨

(٢) الدعوه الى الاصلاح ـ محمد الخضر حسين

(٣) تذكرة الدعاة ـ البهي الخولي ص ٣٥

(٤) مع الله ـ محمد الغزالي ص ١٧.

(٦) العلم الذى به تعرف كافة المحاولات الفنية الرامية الى تبليغ الناس بالاسلام بماحوى من عقيدة وشريعة وأخلاق .(١)

(٧) محاولة دعوة الناس بالقول والعمل الى الاسلام والي تطبيق منهجه واعتناق عقيدته وتنفيذ شريعته .(٢)

(٨) الحث على فعل الخير واجتناب الشر ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والتحبب بالفضيلة والتغير عن الرذيله ،واتباع الحق ونبذ الباطل .(٣)

(٩) فن يبحث في الكيفيات المناسبة التي نجذب اليها الاخرين الي الاسلام أو تحافظ على دينهم بواسطتها) .(٤)

(١٠) قيام من له أهلية بدعوة الناس جميعا في كل زمان ومكان لاقتفاء أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم والتأسي به قولا وعملا وسلوكا .(٥)

(١١) العلم الذى تعرف به كنه المحاولات الرامية الي ابلاغ الناس دعوة الاسلام بما يحويه من عقيدة وشريعة وأخلاق .(٦)

---

(١) الدعوة الاسلامية ـ أصولها ووسائلها ـ د. أحمد غلوش ص ١٠

(٢) الدعوة الى الله ـ د. توفيق الواعي ص ١٧

(٣) مرشد الدعاة ـ محمد نمر الخطيب ـ ص ٢٤

(٤) الدعوة والانسان ـ د. عبد الله الشاذلي ص ٣٩

(٥) الدعوة الى الله في سورة ابراهيم الخليل ـ محمد بن سيدى بن الحبيب ص٢٧

(٦) الدعوة الداعية في ضوء سورة الفرقان ـ محمد سعيد البارودى ص٢٤

ب ـ الدعوة بمعني الدين وهي :

(١) دين الله الذى ارتضاه للعالمين تمكينا لخلافتهم وتيسيرا لضرورتهم ، ووفاء بحقوقهم ورعاية لشئونهم ، وحماية لوحدتهم وتكريما لانسانيتهم واشاعة للحق والعدل فيمابينهم ، هي الضوابط الكاملة للسلوك الانساني وتقرير الحقوق والواجبات وهي قبل ذلك وبعده : الاعتراف بالخالق ، والبر بالمخلوق . (١)

(٢) الدعوة الاسلاميه هي :

الخضوع لله والانقياد لتعاليمه بلاقيد ولاشرط .

وقد استوءنس لهذا التعريف بقوله تعالى (قل ان صلاتي ونسكي ومحياى ومماتي لله رب العالمين لاشريك له وبذلك أمرت ...) (٢)

(٣) الدعوة الاسلامية هي :

الدين الذى ارتضاه الله للعالمين وأنزل تعاليمه وحيا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظها في القرآن وبينتها السنة .

وقد أخذ هذا التعريف من قوله تعالى :

(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) (٣)

(٤) الدعوة الاسلامية هي :

النظام العام والقانون الشامل لامور الحياة ومناهج السلوك للانسان التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم من ربه وأمره بتبليغها الى الناس وقد آخذ هذا التعريف من قوله تعالى :

---

(١) الدعوة الاسلامية دعوة عالمية ـ د. محمد الراوى ص ٣٠.

(٢) سورة الانعام الاية : ١٦١ ، ١٦٢.

(٣) سورة المائدة الاية : ٣.

(فلاوربك لايوءمنون حتي يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) (١)

والحقيقة أن الدعوة الاسلامية بهذا المعني تشتمل على كل هـــذه التعريفات فهي استسلام لأمر الله وخضوع له ، وهي تنفيذ لتعاليـــم القرآن والسنة وهي نظام شامل للحياة الانسانية ، وهذه التعاريـــف ليست متعارضة بل انها تتفاوت في اعطاء صورة الاسلام الذى هو الدعوة.

والاسلام كدين يتكون من أصول وفروع ، تتفق أصوله مع أصول سائـــر الدعوات الالهية وتختلف فروعه باختلاف كل أمة كمافي قوله تعالي :

(شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا اليك وماوصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه..) (٢)

وقال تعالى : (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) (٣)

ومن المعروف أن الاصول الواحدة هي التوحيد واثبات الرسالـــة واثبات البعث وأصول العبادات ومكارم الاخلاق وأن الفروع هي الشرائع الخاصة بكل أمة على حدة والعلاقة بين المعنيين واضحة.

فالدعوة الى الله هدف وابلاغها للاخرين وسيلة وبذلك يتحقق اندماج الهدف بالوسيلة. (٤)

---

(١) سورة النساء الاية : ٦٥ ـ انظر الدعوة الاسلامية ـ أصولها ووسائلها د. أحمد غلوش ص ١٣ + الدعوة الى الله ـ د. توفيق الواعي ص ١٧ ـ ١٩ + الدعوة الاسلامية مفهومها وحاجة المجتمعات اليها ـ محمد خير رمضان يوسف . ص ١٣.

(٢) سورة الشورى الاية : ١٣ (٣) سورة المائدة الاية : ٤٨

(٤) الدعوة الاسلامية ـ أصولها ووسائلها ـ د. أحمد غلوش ص ١٣، ص ١٤.

* المبحث الثاني

التعريف بالداعية

* التعريف بالداعيـــــة

أولا : الداعية في اللغة :

الداعية اسم فاعل على وزن فاعله تقول دعاه يدعوه فهو داع له

الداعية : صريخ الخيل في الحروب لدعائه من يستصرخه (١)

والنبي داعي الله وهو من قوله تعالى (وداعيا الى الله باذنـــه وسراجا منيرا) (٢)

ويطلق على المؤذن لانه يدعو الى مايقرب من الله تعالى وقد دعـا فهو داع والجمع دعاة ، وداعون كقضاة وقاضون . (٣)

والدعاة في اللغة : لفظ عام يشمل دعاة الحق ودعاة الباطل والضلالة (٤)

والدعاة قوم يدعون الى بيعة هدى أو ضلالة ،واحدهم : داع

ورجل داعية اذا كان يدعو الي بدعة أو دين ، أدخلت الهاء منـــه للمبالغة ، ويقال لكلمن مات ، دعي فأجاب .

ويقال : دعاني الى الاحسان اليك احسانك الي .

وداعية اللبن : مايترك في الضرع ليدعو مابعده (٥)

فكل من حمل فكره ودعا اليها ونادى بها مطلقا أى : سواء كانـت هذه الفكرة شرا أو كانت الفكرة خيرا وسواء كانت هذه الفكرة ممـا يحمد عليها شرعا أو مايلزم عليهاشرعا فهو داعية لغة . (٦)

---

(١) القاموس المحيط ـ فيروز آبادى ٣٢٩/٤

(٢) سورة الاحزاب الاية : ٤٦

(٣) تاج العروس ـ محمد مرتضي الزبيدى ١٢٧/١٠

(٤) أساس البلاغة ـ الزمخشرى ٢٧٢/٢

(٥) لسان العرب ـ ابن منظور ٢٥٩/١٤

(٦) مرشد الدعاة ـ محمد عز الخطيب ص ١٠٥.

ثانيا : الداعية في الاصطلاح :

مر معنا في تعريف الداعيةفي المفهوم اللغوى بأنه من يقوم بمطلق الدعوة سواء كانت دعوة خير أم دعوة شر .

ولكن تعريف الداعيةفي المفهوم المصطلحي الحديث أو في مفهوم رجال الدعوة ينحصر في قيام من يدعو بالدعوة الى الخير ،

فالداعية اذن هو من يقوم بالدعوة الى الاسلام ..

ويدخل في هذا المفهوم :الانبياء والمرسلون بادىء ذى بدء ثم يليهم العلماء الذين يقومون بواجب الدعوة، ويدخل في التعريف أيضا العامة من الناس والذين يقومون بالدعوة ،

وتعريفات المعاصرين للداعية تدور حول هذا المعني :

فالداعية: اسم مبالغة من الداعي الى الاسلام بالامر بالمعروفوالنهي عن المنكر (١)

فالداعية هو المسلم المكلف شرعا بالدعوة الى الله تعالى ولاشك أن هذا التعريف يشمل الاقسام كلها من رسول وعالم وسلطان ومسلم عادى .

فالداعية الرسول : هو المسلم المكلف شرعا بالدعوة الى الله بتكليف موحي به من الله موءيدا بالمعجزات ، منتدبا من قبل العناية الالهية .

والدعية العالم : هو المكلف شرعا بالدعوة الى الله تعالي باقامة الحجة والبرهان وبالكلمة الحسنة فهو المجهز والمعد اعدادا خاصا وتربية خاصة ليقوم بمهمة شاقة كتلك التي دعي لها الانبياء والمرسلون.

---

(١) تاريخ الدعوة الاسلامية من الامس الى اليوم - ادم عبد الله الالورى ص ١٨.

والداعية العادى : فتعريفه ، تعريف الداعية العالم ، ويفترق عنه في أن الاول يدعو الى الدين كله بحقائقه ودقائقه ، والثاني لايدعو الا لما يعلم حسب قدرته واستطاعته ،

(لايكلف الله نفسا الا وسعها)(١)

وتحقيقا لقوله عليه الصلاة والسلام (بلغوا عني ولو آية ..)(٢)

فالمسلم لايسمى داعية الا اذا كانت دعوته الى الاسلام ،فأى دعوة أخرى يدعو اليها لايسمى داعية اصطلاحا.

وكذلك غير المسلم لايسمى داعية اصطلاحا مهما كانت دعوته ولو دعا بدعاية الاسلام الا اذا تشرف بالانتساب اليه.(٣)

والداعية : هو من يشتغل بهداية الناس (٤)

والداعي الاول الى الله تعالى بعد أن أنعم الله عليناب الاسلام هو رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم .

قال تعالى : (يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنهوسراجا منيرا)(٥)

والامة شريكة لرسولها في الدعوة ،

قال تعالى : (كنت خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ....)(٦)

والداعية هو كل مسلم بالغ عاقل من الامة الاسلامية وهي المكلفة بالدعوة ـ مكلف بهذا الواجب ، ذكرا كان أو أنثى..(٧)

---

(١) سورة البقره الاية : ٢٨٦. (٢) أخرجه البخارى في كتاب الانبياء باب ماذكر عن بني اسرائيل ٤٩٦/٦رقم ٣٤٦١واخرجه الترمذيفيكتاب العلم باب ماجاء في الحديث عن بني اسرائيل ٤٠/٥رقم ٢٦٦٩.

(٣) انظر مرشد الدعاة ـ محمد عز الخطيب ١٠٥ ـ ١١٠ + كيف ندعو الناس ـ عبد البديع صقر ١٠٨.

=

(٤) مع الله ـ محمد الغزالي ص ١٩٣

(٥) سورة الاحزاب الاية : ٤٥

(٦) سورة آل عمران الاية : ١١٠

(٧) أصول الدعوة د.عبد الكريم زيدان ٢٩٧ ، ٢٩٨ ـ

فبيان دعوة الرسول وغيره من البشر قوله تعالى : (قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني)[1]

يبين سبحانه أن أتباع الرسول هم الدعاة الى الله تعالى وهم أهل البصائر.

وبيان دعوة غير الرسول من البشر قوله تعالى (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين)[2]

ففي هذه الاية : التنويه بالدعاة والثناء عليهم وأنه لا أحد أحسن قولا منهم [3]

---

(1) سورة يوسف الاية : ١٠٨

(٢) سورة فصلت الاية : ٣٣

(٣) الدعوة الى الله وأخلاق الدعاة ـ عبد العزيز بن باز ١٣ ـ ١٩ بتصرف .

* المبحث الثالث

حاجة الناس الى الدعوة

* حاجة الناس الى الدعـــوة :

الناس على مختلف أجناسهم وألوانهم وأزمانهم وعلى مختلف قوتهـــم وضعفهم وغناهم بحاجة ماسة الى الدعوة الاسلامية ، بحاجة الى دين الله الذى ينظم حياتهم سواء ماتعلق منها بالخالق سبحانه أو ماتعلق بأحد من الخلق أو ماتعلق بالتعامل مع جزء وشريحة من شرائح هذا الكون.

قال الشيخ : حافظ الحكمي " رحمه الله "

فانه لاصلاح للعباد ولافلاح ولانجاح ولاحياة طيبة ولاسعادة في الدارين ولا نجاة من خزى الدنياوعذاب الاخرة الا بمعرفة أول معروض عليهموالعمل به وهو الامر الذى خلقهم الله عز وجل له وأخذ عليهم الميثاق بـــه وأرسل به رسله اليهم وأنزل به كتبه عليهم ولاجله خلقت الدنيـــا والاخرة والجنة والنار .... وذلك الامر هو : معرفة الله عز وجـــل بألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته وتوحيده بذلك ومعرفة ماينـاقضـــه أو بعضه من الشـــرك ..... وغيره واجتنابه والايمان بملائكتـــه وكتبه ورسله واليوم الاخر وبالقدر ـ خيره وشره ـ وتوحيد الطريـــق الى اللهعز وجل بمتابعة كتابه ورسوله والعمل وفق ماشرعه الله عـــز وجل ورسوله صلـ الله عليه وسلم .(١)

والحاجة الى الدعوة شديدة لان العقول البشرية لاتستطيع وحدهـــا ادراك مصالحها الحقيقية التيتكفل لها السعادة في الدنياوالاخرة كمـا أنها لاتهتدى الى تمييز الخير من الشر . فكثيرا مايبدو لها الشـــر في لباس الخير فتقع فيه ، وكثيرا ماظهر لها الخير في صورة الشـــر فأعرضت عنه قال تعالى : " وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعســـى أن تحبوا شيئا وهوشر لكم . والله يعلم وأنتم لاتعلمون "(٢)

---

(١) معارج القبول ـ حافظ الحكمى ١٣ ـ ١٤

(٢) سورة البقرة الاية : ٢١٦.

فالانسان ليس كامل العقل والحواس ومن ثم فان مداركه ومعارفه مهما توسعت آفاقها تبقى قاصرة محدودة من أجل هذا، أرسل الله الرسل الى البشر ليخرجوهم من ظلمات الجهل الى آفاق النور والعلم .

في فطرة الانسان قوة يعقل بها طرق الصلاح والفساد ويفقه بها الحق والباطل .

ولكن هذه القوة العاملة لاتستقل وحدها بتمييز المعروف من المنكر وليس من شأنها أن تطلع على كل حقيقته ، ولا أن تدبر أعمال البشر علي نظام لاعوج فيه ،فانها -- وان بلغت في الادراك أشدها - قد تبدو عن الحق ويعزب عنها وجه المصلحة ، ولا تهتدى الى عاقبة العمل وربما ألقت على الحسنة نظرة عجلى فتحسبها سيئة ،وقد يتراءى لها الشر في شبه من الخير فتتلقاه بالقبول .

ولذا فالحاجة الى الدعوة الالهية ملحة وضرورية .(١)

والانسان يتركب من قوتين طبيعيتين هما :

أ - قوة الجسم ، ب - قوة الروح .

وطبيعة الجسم أرضية ، منها خلق الانسان ، وعليها يعيش وفيها يتقلب ، واليها يعود حين يموت ويقبر ، قال تعالى : (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى)(٢)

والجسم وحده هيكل جمادى لايتحرك ولايصلح الابحلول الروح فيه .

ولما كان الانسان شيئا يتنازعه الثرى والثريا ولايكفيه عقله وحده لتدبير أمره ، ولايغنيه للتخلص من ورطات الهوى والشيطان ولايسعفه في تعرف الصواب والجمال والكمال في شئون دينه ودنياه ثم انه بعد ذلك يلعب به النسيان ويخذله ويستخف به الطيش والغضب وغيرهما .

---

(١) الدعوة الى الاصلاح - محمد الخضير حسين ص ٥

(٢) سورة طه الاية : ٥٥.

فكل هذه الادواء لايوجد لهادواء الا في الوحي ورسالات السماء ، وكل تلك المشكلات لايتوصل الى حلولها الا في بعثة الرسل الذين اصطفاهم الله واختارهم .

فحاجة الاديان الى الدعوة كحاجة الانسان الى الوحي ، وكذا لايستغنى الدين عن الدعوة اليه والتعرف به والتنبيه عليه وشرح مبادئه ومقاصده للناس ،

لهذا بعث اليه الانبياء والمرسلين وجعل هذا الميراث فيمن بعدهم من الصالحين .(١)

والبشرية بحاجة الى دين الاسلام ككل، وأن العالم لايستغني عن الاسلام وبدون الاسلام سيكون العالم شقيا .

والبشرية أيضا بحاجة الى موضوعات الاسلام والى كل جزء من أجزاء هذا الدين وأن هذه الاجزاء كالادوية التي تزيل تلك الامراض والعلل التي تجرف البشرية ـ والبشرية كما نعلم تنتابها علل وأمراض كثيرة ولقد أعد الاسلام لكل علة من هذه العلل دواء شافيا.

فالانسان وان زود بالعقل وكرم بالفكر وميز بالادراك فانه محتاج الى هداية السماء ، فالله سبحانه قد أعطى الانسان هذه العيون التي يبصر بها ولكن هذه العيون لاتنفع الانسان لولا ضوء الشمس ولولا النور ولو فقد النور وانعدم الضوء لاستوى الاعمي والبصير وكذلك العقل والادراك والفهم ، كل أولئك أدوات نافعة مادامت هداية السماء التي يسير بضوئها العقل ، على أرض صلبة وخطوات ثابتة وعلى طرية معبد ولولا دين الله وهدايته لصار العقلاء والمجانين سواء.

---

(١) تاريخ الدعوة الاسلامية من الامس الى اليوم ـ ادم عبد الله الالورى ٢١ ، ٢٢.

فالحاجة الى الدين من مستلزمات البشرية ومن متممات وجودهم وخلقهم وان حاجة البشر الى الدين أشد من حاجتهم الى الماء والهواء.(١)

والناس لايستغنون عن رزق الله ولا عن هدايته ، فهم فقراء اليه فيما يطعم أبدانهم من جوع وفيما يزكي أرواحهم من كد .

والحاجة الى وحي الله وقيادة المرسلين لاتنقطع أبدا..

وهذا العصر الذى نعيش فيه من أشد العصور فقرا الى الاتصال بالسماء والانعطاف الى الدين والتوقير لكلمات الله ، وذلك أن الرقي العقلي المحض الذى بلغته الانسانية يجعل مستقبلها على حافة الهاوية ان لم يقترن هذا الرقي باكتمال روحي معتمد على الله ورسله .

فالعالم بحاجة الى أن يعرف الله كما عرف نفسه الى عباده في القرآن الكريم . فان صور الوجود الالهي بلغت في أسلوب القرآن قمة لم يبلغها كتاب آخر . والنفس الانسانية لاتدرك أطرافا من الكمال الاعلى يغرس في أعماقها أروع العقائد وأرسخ الايمان الا اذا اتصلت بهذا القرآن ، واستمعت اليه ،وفتحت أنظارها لهديه ، قال تعالى :

(كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلو عليهم الذى أوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن ،قل هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب).(٢)

والعالم محتاج الى أن يعرف محمدا صلى الله عليه وسلم وأن يدرس سيرته دراسة بعيدة عن الافتراء والتزايد ليأخذ من حياته أمجد الدروس وأروعها .

والعالم محتاج الى أن يدرك جملة الحقائق التي جاء بها الاسلام من عقائد وعبادات وأخلاق ومعاملات فان هذه الحقائق هداية نافعة له والعمل بها مجتمعة ـ يحصل خيرا جزيلا وينفي شرا كثيرا .(٣)

---

(١) مرشد الدعاة ـ محمد نمر الخطيب ٣٨ ـ ٤٠ بتصرف .

(٢) سورة الرعد الاية : ٣٠،٢١) مع الله ـ محمد الغزالي ٢٢ ـ ٢٧.

(٣) مع الله ـ محمد الغزالي ـ ٢٢ ـ ٢٧ بتصرف .

والحاصل : فان البشر أيا كانوا مسلمين أم غير مسلمين بحاجة الى الدعوة الاسلامية ، فالمسلم بحاجة ليتزود بالاسلام وليترقى بتعاليمه وادابه وأحكامه الى مصاف الكمال والرفعة وليترفع به عن الرذائل والنقائض .

وغير المسلم : بحاجة الى الدعوة ليخرج من الظلمات الى النور قال تعالى : (الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)[1]

---

(١) سورة البقرة الاية ٢٥٧.

* الفصل الثاني : أساليب الدعوة في السوره

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الاو ل : التبشير والتنذيـــــر

المبحث الثاني : لفت الانظار الى مصير الامم السابقة

المبحث الثالث : لفت الانظار الى آيات الله الكونيه .

* المبحث الأول :

= التبشير والانـــــذار =

أولا : الانذار : (١)

يبرز القرآن هذا الاسلوب الدعوى ، اسلوب البشارة والنذارة في السورة بل إنّه ليصف القرآن في دعوته بقوله (كتاب فصلت آيته قرآنا عربيا لقوم يعلمون.بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لايسمعون) (٢)

أيضا فانه يفصل في أسلوبه الترهيب بذكره بعض الصورة التي توضح ذلك الموقف العظيم من خلال هذه الايات .

---

(١) الانذار بمعني الابلاغ ولايكون الا في التخويف ، انظر مختار الصحاح ـ الرازى ـ ٦٥٣.

(٢) سورة فصلت الايه : (٣ ، ٤).

قال تعالى :

(ويوم يحشر أعداء الله الى النار فهم يوزعون . حتى اذا ماجاؤها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون . وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مره واليه ترجعون . وماكنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لايعلم كثيرا مما تعملون .وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين فان يصبروا فالنار مثوى لهم وان يستعتبوا فما هم من المعتبين . وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم مابين أيديهم ومأخلفهم وحق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس إنهم كانوا خاسرين وقال الذين كفروا لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون . فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم أسوأ الذى كانوا يعملون . ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون .)[1]

فالله سبحانه وتعالى يحكيماسيكون في المستقبل بأسلوب الحاضر كل ذلك من باب ترتيب الصورة للاذهان ومن باب أن ذلك واقع لامحالة كيف لا والله قد حكم به وقضي ، فلا معقب لحكمه ولا راد لقضائه سبحانه

فيذكر القرآن أن أعداء الله الذين لم يستجيبوا للدعوة الاسلامية تمام الاستجابة أن مصيرهم الى النار ، فسيتوزعون فيها وعلى أطرافها وفي وسطها ـ أجارنا الله منها ـ وسيساقون ويدفعون اليها ، وهذا الاسلوب لوحده كاف في ترهيب من توجه لهم الدعوة بأن مصيركم سيكون

---

(١) سورة فصلت الاية ١٩ ـ ٢٨.

من جنس مصير أولئك الممتنعين عن قبول الدعوة وبالتالي :

فمن الضرورى أن يتبع الانسان مايوصله الى طريق السلام والامان ، والى طريق الجنة ، وهذا من باب المقابلة ، بل ان القرآن لايكتفى بهذا الاسلوب وحده ويجعل الفرد يفكر فيما يصلح له ، بل لقد دعاه الى سلوك طريق الصلاح والفلاح من النجاة وهذا ماسأتطرق إليه فيما بعد .

وهؤلاء القوم الرافضون لقبول الايمان استحابو لداعي الضلالة والردى فحجبهم عن قبول الحق فقيض الله لهم قرناء زينوا لهم الباطل الذى بين أيديهم والذى خلفهم ولذلك حق عليهم القول بأنهم خاسرون .

وقد ذكر الله لهم طرفا من عذاب يوم القيامة بعد تهديدهم بعذاب الدنيا لعلهم يرجعون ، ويستجيبون للدعوة وأمر رسوله أن يذكر لهم يوم يحشر أعداء الله من الكفرة الى النار ومواقف الحساب ، فهم يساقون اليها كما تساق الانعام بشدة حتي اذا تكاملوا واجتمع أولهم على اخرهم يدفعون إلى جهنم دفعا ، حتي اذا حضروها وسئلوا عما أجرموا فأنكروا شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون .(١)

"ويوم يحشر أعداء الله ..... شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون "

الجلود يعني بها الجلود بأعيانها في قول أكثر المفسرين . وقال السدّى وعبيد الله بن أبي جعفر والفراء : أراد بالجلود . الفروج

---

(١) التفسير الواضح ـ د. محمد محمود حجازى ٢٤/٦٠ـ ٦١ بتصرف .

وقالوا" يعني الكفار ، (لجلودهم لم شهدتم علينا) وانما كنا نحادل عنكم (قالوا ا أنطقنا الله الذى أنطق كل شيء) لما خاطبت وخوطبت أجريت مجرى من يعقل (وهو خلقكم أول مرة) أى ركّب الحياة فيكم بعد أن كنتم نطفا ، فمن قدر عليه قدر على أن ينطق الجلود وغيرها من الاعضاء (وإليه ترجعون).

وفي صحيح مسلم عن أنس بن مالك قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال : هل تدرون لم أضحك قلنا : الله ورسوله أعلم ،قال : من مخاطبة العبد ربه ، يقول : يارب ألم تجرني من الظلم ؟ قال يقول : بلي قال . فيقول : فاني لا أجيز على نفسي إلا شاهدا منّي،قال : يقول . كفي بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا ، قال : فيختم علي فيه ،فيقال لأركانه : انطقي فتنطق بأعماله ،قال . ثم يخلي بينه وبين الكلام قال : فيقول : بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل)[1]

قوله تعالى (وماكنتم مستترون أن يشهد عليكم ..... انهم كانوا خاسرين).

قوله تعالى : (وماكنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم) يجوز أن يكون هذا قول الجوارح لهم ، ويجوز أن يكون من قول الله عز وجل أو الملائكة . وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال .

اجتمع عند البيت ثلاثة نفر ، قرشيان وثقفي ، أو ثقفيان وقرشي قليل فقه قلوبهم كثير شحم بطونهم ، فقال أحدهم : أترون الله يسمع مانقول ؟ فقال الاخر . يسمع إن جهرنا ولايسمع إن أخفينا ،وقال الاخر : ان كان يسمع إذا جهرنا فهو يسمع إذا أخفينا ، فأنزل الله عز وجل (وماكنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم) الاية[2]

---

(١) اخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق ٤/٢٢٨٠ رقم ٢٩٦٩.

(٢) أخرجه مسلم ،سبق تخريجه ص .

فيوم القيامة يقول السمع · سمعت الحق فما وعيت ، وسمعت مالايحوز من المعاصي وتقول الابصار · رأيت آيات الله وما اعتبرت ونظرت فيما لايحوز ·

وقيل ·

العمر ينقص والذنوب تزيد * وتقال عثرات الفتي فيعود
هل يستطيع جحود ذنب واحد * رجل جوارحه عليه شهود
والمرء يسأل عن سنيه فيشتهي * تقليلها وعن الممات يحيد

وقيل ·

مضي أمسك الادني شهيداً معدلا * ويومك هذا بالفعال شهيد
فان تك بالامس اقترفت إساءة * فثق باحسان وأنت حميد
ولا ترج فعل الخير منك الى غد * لعل غداً يأتي وأنت فقيد (١)

قال الشوكاني : في تفسير قوله تعالى

(... شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون)

وجه تخصيص الثلاثة بالشهادة دون غيرها على أن الحواس خمس : وهي السمع والبصر والشم والذوق واللمس والة اللمس هي الجلد ·

فالله سبحانه ذكر هنا ثلاثة أنواع من الحواس ،وهي السمع والبصر واللمس وترك ذكر نوعين وهما الذوق والشم ، فالذوق داخل في اللمس من بعض الوجوه ، لان ادراك الذوق انما يتأتي بأن تصير جلده اللسان مماسة لجرم الطعام ، وكذلك الشم لايتأتي حتي تصير جلدة الخنك مماسة لجرم المشموم ، فكانا داخلين في جنس اللمس ·

وإذا عرف وجه تخصيص الثلاثة بالذكر عرف وجه تخصيص الجلود بالسوء ال لانها قد اشتملت على ثلاث حواس ،فكان تأتي المعصية من جهتها أكثر.(٢)

---

(١) الجامع لاحكام القرآن ـ القرطبي ١٥/٣٥٠ ـ ٣٥٣ بتصرف ·

(٢) فتح القدير ـ الشوكاني ٤/٥١١ ·

وقال عبد الرحمن السعدي في تفسير قوله تعالى:

قال تعالى (وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم).

الظن السيء حيث ظننتم به مالايليق بجلاله ، (أرداكم) أي أهلككم (فأصبحتم من الخاسرين) لأنفسكم وأهليكم ودينكم بسبب الأعمال التي أوجبها لكم ظنكم القبيح بربكم . فحقت عليكم كلمة العذاب من الشقاء.(١)

قال تعالى : (فان يصبروا فالنار مثوى لهم ..)

باللسخرية .. فالصبر الان صبر على النار ، وليس الصبر الذي يعقبه الفرج وحسن الجزاء.

انه الصبر الذي جزاؤه النار قرارا ومثوى يسوء فيه الثواء.

(وان يستعتبوا فماهم من المعتبين).

فما عاد هناك عتاب ، وماعاد هناك متاب ، وقد جرت العادة أن الذي يطلب العتاب يطلب من ورائه الصفح والرضي بعد ازالة أسباب الجفاء فاليوم يغلق الباب في وجه العتاب . لاالصفح والرضي الذي يعقب العتاب

ثم يكشف لهم عن سلطان الله في قلوبهم وهم بعد في الارض يستكبرون عن الايمان بالله ، فالله قد قبض لهم بما أطلع على فساد قلوبهم قرناء سوء من الجن ومن الانس ، يزينون لهم السوء وينتهون بهم الي مواكب الذين كتب عليهم الخسران . وحقت عليهم كلمة العذاب .

(وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم مابين أيديهم وماخلفهم ، وحق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس إنهم كانوا خاسرين).

فلينظروا كيف هم في قبضة الله الذي يستكبرون عن عبادته . وكيف أن قلوبهم التي بين جنوبهم تقودهم الى العذاب والخسارة ، وقد قيض الله وأحضر قرناء السوء يوسوسون لهم ويزينون لهم كل ماحولهم

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان . عبد الرحمن السعدي ٥٦٩/٦.

من السوء ويحسنون لهم أعما لهم فلا يشعرون بما فيها من قبح .وأشد مايصيب الانسان أن يفقد احساسه بقبح عمله وانحرافه وأن يرى كل شيء من شخصه حسنا ومن فعله.

فهذه هي المهلكه وهذا هو المنحدر الذى ينتهي دائما بالبوار .

وكان من تزين القرناء لهم دفعهم الى محاربة هذا القرآن فيما أحسوا بما فيه منسلطان .(١)

ولم يكتف أولئك المعرضون عن الدعوة الذين لم يستجيبوا لها عند هذا الحد .

بل زادوا في طغيانهم واستهتارهم بالقرآن الكريم وصدهم للناس عنه فيقول تعالى عنهم : (وقال الذين كفروا : لاتسمعوالهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون).

انها كلمة كان يوصي بها الكبراء من قريش أنفسهم ويغرون بها الجماهير، وقد عجزوا عن مغالبة أثر القرآن.في أنفسهم وفي نفوس الجماهير ،

(لاتسمعوا لهذا القرآن) فهو كما كانوا يدّعون يسحرهم. ويغلب عقولهم ويفسد حياتهم ويفرق بين الوالد وولده ، والزوج وزوجه ولقد كان القرآن يفرق نعم ، ولكن بفرقان الله بين الايمانوالكفر والهدى من الضلال ، كان يستخلص القلوب له .

(والغوا فيه لعلكم تغلبون) وهي مهاترة لاتليق ، ولكنه العجز عن المواجهة بالحجة والمقارعة بالبرهان.(٢)

وردا على قولهم المنكره يجيء التهويد المناسب :

---

(١) في ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ ٣١١٩/٥ ـ ٣١٢٠.

(٢) في ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ ٣١٢٠/٥.

(فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ، ولنجزيهم أسوأ الذى كانوا يعملون . ذلك جزاء أعداء الله النار. لهم فيها دار الخلد ، جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون).

وسرعان مانجدهم في النار وسرعان مانشهد حنق المخدوعين الذين زين لهم قرناءهم مابين أيدهم وماخلفهم ، وأغروهم بهذه المملكة التي انتهى اليها مطافهم .

(وقال الذين كفروا : ربنا أرنا الذين أضلانا من الجن والانس ، نجعلها تحت أقدامنا ليكونا من الاسفلين).

وذلك بعد الموادة والمخاونة والوسوسة والتزيين.[1]

---

(١) في ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ ٥/٣١٢٠.

ثانيا : التبشيـــر (١)

ويعقب القرآن الكريم ذكر الترهيب بالترغيب والنذاره بالبشارة من باب أنه يرسم للمدعو الطريق ، فيعده ويوعده ، ويجعل الطـريق أمام ناظريه واضحه فأى الطريق يحبه فيسير ، وعند ذلك يكون الجزاء من جنس العمل .

وهذه السوره ترسم لنافي أسلوبها البديع ترغيبا عظيما. ترسم لنا صورة حسنة لطائفة من الناس حققت الاسلام وتمثلت بالدعوة بالقولوالفعل كما كان جزاؤها ومصيرها.

قال الله تعالي : (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتـــم توعدون. نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة . ولكـــم فيها ماتشتهي أنفسكم ولكم فيها ماتدّعون . نزلا من غفور رحيم) (٢)

(١) قال القرطبي : حول هذه الايات :

عن ابن عباس : نزلت هذه الاية في أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ وذلك أن المشركين قالوا ربنا الله والملائكة بناته وهؤلاء شفعاؤنا عند الله فلم يستقيموا .

وقال أبو بكر : ربنا الله وحده لاشريك له ومحمد صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله فاستقام .

وعن سفيان بن عبد الله الثقفي قال : يارسول الله قل لي فـــي الاسلام قولا لا اسأل عنه أحدا غيرك قال : قل آمنت بالله ثم استقم . (٣)

---

(١) التبشير : هو الاخبار على وجه السرعة بالخير ، ولايكون بالشر الا اذا قيد ـ انظر مختار الصحاح ـ الرازى ٥٣.

(٢) سورة فصلت ٣٠ ـ ٣٢

(٣) رواه مسلم في كتاب الايمان ، باب جامع أوصاف الاسلام ٦٥/١ رقم٣٨

(ثم استقاموا) قال علي بن أبي طالب : أي أدوا الفرائض وقال عكرمه : استقاموا على شهادة أن لا اله الا الله وقال سفيان الثوري عملوا على رفاق ماقالوا :

وقيل استقاموا فعلا كما استقاموا قولا (١)

وهذه الايات شروع في بيان أحوال المؤمنين - الذين استجابوا للدعوة ونهايتهم بعد بيان أحوال المشركين ونهايتهم ليظهر الفرق جليا بين الخبيث والطيب .

فهؤلاء اعترفوا بالربوبية وأقروا بالالوهية وأنه سبحانه مالك الامر ومدبره وأن الخلق عبيد له ومربوبون بين يديه لاحول لهم و لا حول ، ثم استقاموا على الطريقة وداوموا السير على الصراط المستقيم . فلم تزل قدمهم عن طريق العبودية قلباوقالبا ، ونية وعملا ، واعتدلوا على منهج الطاعة والعبادة قولا وعملا وعزماًوداوموا على ذلك أولئك تتنزل عليهم الملائكة في كل وقت وحين. (٢)

---

(١) الجامع لاحكام القرآن - القرطبي - ١٥/٣٥٨.

(٢) التفسير الواضح - د. محمد محمود حجازي - ٢٤ - ٦٣.

والاستقامه على قولة (ربنا الله) الاستقامة عليها بحقهاوحقيقتها.

الاستقامة عليها شعورا في الضمير وسلوكا في الحياة :

الاستقامة عليها والصبر على تكاليفها . أمر ولاشك كبير . وعسير ومن ثم يستحق عند الله هذا الانعام الكبير ، صحبة الملائكة وولاءهم ومودتهم . هذه التي تبدو كما قال الله عنهم وهم يقولون لاولياؤهم المؤمنين . لاتخافوا . لاتحزنوا . ابشروا بالجنة التي كنتم توعدون . نحن أولياؤكم في الحياة الدنياوفي الاخرة . ثم يصورون لهم الجنة التي يوعدون تصوير الصديق لصديقه مايعلم أنه يسره علمه ورؤيته من حظه المرتعب : لكم فيها ماتشتهي أنفسكم ولكم فيها ماتدعون . ويزيدونها لهم جمالا وكرامة : نزلا من غفور رحيم فهيمن عند الله أنزلكم اياها بمغفرته ورحمته ،فأى نعيم بعد هذا النعيم .(١)

(تتنزل عليهم الملائكة..) من عند الله سبحانه بالبشرى التي يريدونها من جلب نفع أو دفع ضرر أو رفع حزن : وقال وكيع : البشرى في ثلاث مواطن : عند الموت وفي القبر وعند البعث (ألا تخافوا ولا تحزنوا) .

والمعني لاتخافوا مما تقدمون عليه من أمور الاخرة ولاتحزنوا على مافاتكم من أمور الدنيا من أهلوولد ومال .

قالمجاهد : لاتخافو ا الموت ولاتحزنواعلى أولادكم ،فان الله خليفتكم عليهم .(٢)

---

(١) في ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ ٠٣١٢١/٥

(٢) فتح القدير ـ الشوكاني ـ ٠٥١٥/٤

(وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون) فانها قد وجبت لكم وثبتت وكان وعد الله مفعولا . ويقولون لهم أيضا ـ مثبتين لهم ، ومبشرين (نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الاخرة) يحثونهم في الدنيا علي الخير ويزينونه لهم ويرهبونهم من الشر ويقبحونه في قلوبهم ، ويدعون الله لهم ويثبتونهم عند المصائب والمخاوف وخصوصا عند الموت وشدته . والقبر وظلمته وفي القيامة وأهوالها على الصراط وفي الجنة يهنئونهم بكرامة ربهم ، ويدخلون عليهم من كل باب (سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار).

ويقولون لهم أيضا : (ولكم فيها) أى في الجنة ماتشتهي أنفسكم) قد أعد وهيّء (ولكم فيها ماتدعون) أى : تطلبون من كل ماتتعلق به ارادتكم وتطلبونه من أنواع اللذات والمشتهيات مما لاعين رأت ، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .(١)

(نزلا من غفور رحيم) والنزل مايعدّ للضيف من اكرام له ولامانع من اطلاقه على مايعدّ للمتقين يوم القيامة علي سبيل التشبيه للاشارة الى عظم مايعدّ لهم من الكرامة والاجلال .(٢)

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ عبد الرحمن السعدى ٦/٥٧٤.

(٢) التفسير الواضح ـ د.محمد محمود حجازى ٢٤/٦٣.

* المبحث الثاني:

لفت الأنظار إلى مصير الأمم السابقة

(قوم عاد وثمود)

القرآن الكريم حينما دعا القرشيين الى التوحيد والى العبادة الحقة وبين لهم بعض وجوه قدرة هذا الخالق الذى يستحق افـــراده بالعبادة خوفهم من رفض هذه الدعوة السديدة وعدم الانصياع لهـــا والاستجابة لمطالبها ، فلقد خوفهم بما حلّ بالامم السابقة منقبلهم حينما دعوا الى الحقولكنهم لم ينصاعوا له . فقد حاق بهم ســـوء العذاب الاليم والمهين وأخذوا عن بكرة أبيهم وهذه سنته تعالى فـي الخلق بأنهم يرسل لهم الرسول وينزل عليهم الكتاب ويقيم عليهـــم الحجة فمن استجاب لهذه الدعوة نجا ومن أبى خسر وهلك وحل بـــه عذاب الله العظيم .

فالقرآن يخوف القرشيين أن يحل بهم لون من ألوان عـــذاب المتقدمين كالصاعقة والريح العقيم وما أشبه ذلك .

ويطيب لي بهذه المناسبة أن ألقي الضوء بشكل سريع علـــي هذين القومين ، قوم عاد وثمود ، وماافعل الله بهم بعد ما رفضـوا دعوة أنبيائهم (هود وصالح) عليهما السلام.

* (رهود عليه الصلاة والسلام)

(١) نسبه وسكنه :

هو هود بن شالخ بن فخشذ بن سام بن نوح عليه السلام

وقيل هو : هود بن عبد الله بن رباح بن الجارود بن عاد بن عـــوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام.

وكانت مساكن عاد في أرض الاحقاف من جنوب شبه الجزيرة العربية ، والاحقاف جبال الرمل وكانت باليمن من عمان وحضرموت بأرض مطلة علـــي البحر يقال لها الشحر ، واسم واديهم : مغيث ، وكانوا كثيـــــرا ماكانوا يسكنون الخيام ذوات الاعمدة الضخام كما قال عنهم (ألـــم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد)[1]

(١) سورة الفجر الاية : ٦-٨

أى مثل القبيلة [1]

قال تعالى :) واذكر أخا عاد اذ أنذر قومه بالاحقاف ...) [2]

(٢) حياته مع قومه :

لقد فصل القرآن الكريم قصة هود عليه السلام مع قومه في نحو عشر سور وأبرز مافيها ، النقاط التالية :

أ ـ اثبات نبوته ورسالته الى عاد.

ب ـ ذكر أن عادا كانوا خلفاء في الارض من بعد قوم نوح.

ج ـ ذكر أن هؤلاء القوم كانوا :

* أشداء أقوياء ممن زادهم الله بسطة في الخلق .

* مترفين في الحياة الدنيا ، قد أمدّهم الله بأنعام وبنين وجنات وعيون وألهمهم أن يتخذوا مصانع لجمع المياه فيها ، وقصورا ضخمة شامخة الى غير ذلك من مظاهر النعمة والترف .

* يبنون على الروابي والمرتفعات مباني شامخة ليس لهم فيها مصلحة تقصد الا آن تكون آية يتباهون بها تظهر قوتهم وبأسهم في الارض

* ينكرون الدار الاخرة ويقولون (ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ومانحن بمبعوثين) [3]

د ـ ذكر أن هودا دعاهم الى الله بمثل دعوة الرسل فكذبوه واستهزؤا ابدعوته ولم يؤمن معه الا القليل ، فاستنصر بالله فقال الله له : (عماقليل ليصبحن نادمين) [4]

---

(١) البداية والنهاية ـ ابن كثير ١٢٠/١.

(٢) سورة الاحقاف الاية : ٢١

(٣) سورة المؤمنون الاية : ٣٧

(٤) سورة المؤمنون الاية : ٤٠.

فأرسل الله عليهم الريح العقيم ،ريحاصرصرا عاتية ،سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما نحسات تدمر كل شيء بأمر ربها ،فما تذر من شيء أتت عليه الا جعلته كالرميم ، فأهلكتهم وأنجي الله برحمته هودا والذين آمنوا معه وتم أمر الله وقضاؤه .(١)

(٣) عبادة قوم هود عليه السلام

كان قوم هود عليه السلام أصحاب أوثان يعبدونها من دون الله تعالى وهم أول من عبد الاصنام بعد الطوفان وكانت لهم أصنام تسمى: (صدا وصمودا وهرا) (٢)

---

(١) العقيدة الاسلامية وأسسها ـ عبد الرحمن حبنكه الميداني ٤٢٤، ٤٢٥

(٢) النبوة والانبياء ـ الصابوني ص ٢٢٧.

* (صالح عليه الصلاة والسلام)

(١) نسبه :

هو نبيّ الله صالح بن عبد بن ماسح بن عبيد بن خاجر بن ثمود ابن عابر بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام .

وقيل هو صالح بن عبيد بن ماشخ بن عبيدبن اسف بن ماسح بن عبيد ابن حادر بن ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام.(١)

(٢) مساكن ثمود

كانت مساكن ثمود بالحجر ولذلك سماهم الله في القرآن الكريم أصحاب الحجر قال تعالي : (ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين)(٢)

والحجر : أرض بين الشام والحجاز الى وادى القرى ، وتقع في الطريق البرى للمسافر من الشام الى الحجاز وآثار مدائن هوءلاء القوم ظاهرة حتى الان وتسمي مدائن صالح .

كما تعرف ديارهم باسم (فج الناقة) (٣)

---

(١) البداية والنهاية ـ ابن كثير ١٣٠/١.

(٢) سورة الحجر الاية : ٨٠ ، ٨١

(٣) القصيدة الاسلامية وأسسها ـ عبد الرحمن الميداني ص ٤٢٦، ٤٢٧.

(٣) عبادة قوم ثمود:

كانت قبيلة ثمود تدين بعبادة الأوثان ، وتكفر بالله الواحد الديان ، فبعث الله اليهم صالحا عليه السلام يذكرهم بنعم الله ويهديهم طريق الفوز والسعادة ، وينهاهم عن عبادة الأصنام فظلوا متمادين في غوايتهم ....

فآمن به نفر قليل، وأكثرهم كذبوه وكفروا برسالته وعتوا في طغيانهم عتوا كبيرا وطلبوا منه معجزة تشهد بصدقه ، فجاءهم بمعجزة الناقة التي طلبوها وقد كانت آية عظيمة دالة على صدق صالح عليه السلام حيث خرجت الناقة من صخر أصمّ ورأوا بأعينهم كيف انفلقت الصخرة وخرجت منها ناقة عشراء.

وقد يقول قائل لماذا كانت الناقة معجزة ؟

فقد كانت الناقة معجزة لاشتمالها على أمور عجيبة خارقة للعادة ،ولعل من أبرزها مايأتي :

أ ـ خرجت من الصخر وهو حجر أصمّ من الجماد فكيف يخرج منه الحيوان؟

ب ـ كانت تشرب ماء القبيلة بأجمعه (لها شرب ولكم شرب يوم معلوم)[1] واستيفاء ناقة لشرب أمة أمر عجيب .

حـ ـ انها كانت تعطي القبيلة من الحليب بقدر الماء الذى شربته وهذا أيضا أمر عجيب .

فهذه آيات في هذه الناقة ، لتدل على صدق ذلك الرسول ، وبهر قومه بها. (هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم)[2]

---

(١) سورة الشعراء الاية : ١٥٥.

(٢) سورة الاعراف الاية : ٧٣.

ولقد كانت هذه الاية معجزة وبرهانا ساطعا علي صدق النبي ، كما كانت بطلب منهم حيث وعدوه باتباعه والايمان به ان شق لهم الصخرة واخرج لهم منه ناقة .

ولكن الصخرة انفجرت بأمر الله عن ناقة عشراء عظيمة (وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها) (١)

(٤) هلاك ثمود :

لقد حذّرهم صالح عليه السلام من التعرّض للناقة بسوء وأنذرهم عذاب الله إن هم أقدموا علي قتلها (ولاتمسّوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم)(٢)

ولكن النفوس العاتية التي لاتسمع موعظة ولاتقبل نصيحة والتي أعماها الطغيان قد أبت إلا الإجرام (فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم ، وقالوا ياصالح أئتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين)(٣)

وقد قصّ الله علينا قصتهم (كذبت ثمود بطغواها . إذ انبعث أشقاها . فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها . فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها . ولا يخاف عقباها)(٤)

وكان أول من سطا على الناقة . قدار بن سالف فعقرها فسقطت على الارض فابتدرها الرجال بأسيافهم يقطعونها وكانوا تسعة كما أخبر الله عز وجل (وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض ولايصلحون)(٥)

---

(١) سورة الاسراء : الاية ٥٩

(٢) سورة الاعراف : الاية ٧٣

(٣) سورة الاعراف : الاية ٧٧

(٤) سورة الشمس : الاية ١١ — ١٥

(٥) سورة النمل : الاية ٤٨.

وقد هموا بقتل صالح بعد قتل الناقة لاسيمابعدأن أنذرهم بعذاب الله وتوعّدهم به بعد ثلاثة أيام من عقر الناقة (فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب) (١) فأرسل الله على أولئك النفر الذين قصدوا قتل صالح حجارة من السماء رضختهم ودمرتهم قبل قومهم . (٢)

وهذا الانظار والتمتع في البيوتأو الديار وانتظار العذاب ، كأنها مدة الاستتابة الشرعية لعلهم يؤمنون ويرجعون ، أو هي زيادة في ألم العذاب والضغط النفسي الشديد الحاصل بسبب الوعيد بالعذاب وقد كان . (٣)

وأصبحت ثمود في اليوم الاول من موعد حلول العذاب وقد اصفرت وجوههم ثم أصبحوا في اليوم الثاني وقد احمرت وجوههم ثم أصبحوا في اليوم الثالث وقد اسودت وجوههم كما أنذرهم صالح عليه السلام فلما انتهت الايام الثلاثة ومع شروق الشمس جاءتهم صيحة من السماء من فوقهم ورجفة شديدة من أسفل منهم ، ففاضت الارواح وزهقت الانفس وسكنت الحركات وخشعت الاصوات ، وحقت الحقائق فأصبحوا في دارهم جاثمينجثثا هامدة لا أرواح فيها ولاحركة .

وأما صالح والذين معه فقد نجوا مما حاق بقومهم من العذاب الذى أدركهم بعد ثلاثة أيام من جريمتهم النكراء .) (٤)

---

(١) سورة هود الايه : ٦٥

(٢) البداية والنهاية ١/١٣٤ ـ ١٣٦ بتصرف .

(٣) الدعوة والانسان د. عبد الله الشاذلي ص ٤٠٠

(٤) النبوة والانبياء ـ الصابوني ص ٢٣٤.

وبعد هذه اللمحة السريعة عن هذين القومين نرجع الي لفت الانظار الي نفس القضية ولكن من داخل السورة نفسها.

قال تعالي :

(فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود . إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا الا الله قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة فانابما أرسلتم به كافرون .

فأما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أو لم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوةوكانوابآياتنا يجحدون . فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الاخرة أخزى وهم لاينصرون .

وأماثمود فهديناهم فاستحبوا العمي على الهدى فأخذتهمصاعقة العذاب الحق بماكانوايكسبون .. ونجينا الذين آمنوا وكانوايتقون[1]

---

(١) سورة فصلت الاية : ١٣ – ١٨.

قال ابن جرير الطبري:

يقول تعالى :(فان أعرض هؤلاء المشركون عن هذه الحجة التي بينتها لهم يامحمد ونبهتهم عليها فلم يؤمنوا بها ولم يقروا أن فاعل ذلك هو الله الذى لا اله غيره . فقل لهم : أنذرتكم أيها الناس صاعقة تهلككم مثل صاعقة عاد وثمود - والصاعقة : هي كل ما أفسد الشيء وغيره من هيئته وقيل : المقصود بالصاعقة : الوقيعة من الله والعذاب .

(اذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم)يعني من أرسل اليهم والي من قبلهم وهؤلاء الرسل دعوهم الى التوحيد ولكن كان رد المدعويين : (لو شاء ربنا لانزل ملائكة) ملائكة من السماء رسلا بما تدعوننا أنتم اليه ، ولم يرسلكم وأنتم بشر مثلنا .(١)

(فأما عاد فاستكبروا في الارض) استكبروا على عباد الله هود ومن آمن معه .

(بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة) اغتروا بأجسامهم حين تهددهم بالعذاب وقالوا : نحن نقدر علي دفع العذاب عن أنفسنا بفضل قوتنا . وذلك أنهم كانوا ذوى أجسام طوال وخلق عظيم ، عن ابن عباس رضي الله عنه قال : ان اطولهم كان مائة ذراع واقصرهم كان ستين ذراعا (٢)فقال تعالى ردا عليهم :

(أو لم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة) وانما يقدر العبد بأقدار الله له ، فالله أقدر إذا . (وكانوا بآياتنا يجحدون) أى بمعجزاتنا يكفرون .(٣)

---

(١) جامع البيان في تفسير القرآن - الطبرى ٦٥/٢٤

(٢) ويؤيده ماثبت في الصحيحين : أن الله سبحانه خلق ادم علي صورته طوله ستون ذراعا في سبعة أذرع عرضا: انظر البخارى في كتاب الاستئذان باب بدء السلام ٣/١١ رقم ٦٢٢٧ وفي كتاب الانبياء باب خلق ادم صلوات الله عليه وذريته ٣٦٤/٦رقم٣٣٣٥ورواه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها واهلها ،باب يدخل الجنة أقوام افئدتهم مثل افئدة الطير ٢١٨٣/٤ رقم ٠٢٨٤٠ (٣) الجامع لاحكام القرآن - القرطبي٣٤٧/١٥٠

وخصت القبيلتان عاد وثمود لان قريشا يمرون على قرى القوم في أسفارهم .

(فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا...)

في الريح الصرصر أربعة أقوال :

أحدهما : أنها الباردة قاله ابن عباس وغيره .

الثاني : أنها الشديدة السموم – أي الريح الحارّة – قاله مجاهد.

الثالث : الشديدة الصوت : قاله السدى وغيره.

الرابع : الباردة الشديدة : قاله مقاتل .(١)

وقال ابن كثير :

قال بعضهم هي الشديدة الهبوب وقيل الباردة وقيل هي التي لها صوت والحق أنها متصفة بجميع ذلك فانها كانت ريحا شديدة قوية لتكون عقوبتهم من جنس ما اغتروا به من قواهم وكانت باردة شديدة البرد جدا كقوله تعالى (بريح صرصر عاتيه) أي باردة شديدة وكانت ذات صوت مزعج (في أيام نحسات) أي متتابعات ، كما قال تعالى (سبع ليال وثمانية أيام حسوما) حتي أبادهم عن اخرهم واتصل بهم خزى الدنيا بعذاب الاخرة ، ولهذا قال :

(لنذيقهم عذاب الخزى في الحياة الدنيا ولعذاب الاخرة أخزى) أي أشد خزيا (وهم لاينصرون) في الاخرة كما لم ينصروا في الدنيا.(٢)

(وأما ثمود فهديناهم) أي هداية بيان ودلالة وارشاد لاهداية توفيق وإلهام وإنما نصّ عليهم ، وان كان جميع الأمم المهلكة قد قامت عليهم الحجة وحصل لهم البيان لان آية ثمود آية باهرة قد رآها صغيرهم

---

(١) زاد المسير في علم التفسير– ابن الجوزى ٢٤٧/٧ – ٢٤٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم – ابن كثير ٩٥/٤

وكبيرهم وذكرهم وأنثاهم ،وكانت آية مبصرة .[1]

فلهذا خصهم بزيادة البيان والهدى ... ولكنهم من ظلمهم وشرهم استحبوا العمى - الذى هو الكفر والضلال-على الهدى - الذى هو العلم والايمان-.[2]

(فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون) وقد كانوا قبل ذلك في جنات وعيون وزرع ونخل طلعها هضيم وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا فارهين فلما كذبوا وكفروا أهلكهم الله بالطاغية وهم ينظرون.

(ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون)

فالذين آمنوا ويقصد بهم نبي الله صالح ومن معه ، فقد نجاهم الله من العذاب بسبب ايمانهم وخوفهم من عذاب الله .[3]

---

(١) وقد كانت معجزة قوم ،هود الناقة كما نص عليه في آية الاعراف (والى ثمود أخاهم صالحا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ، قد جاءتكم بينة من ربكم - والبينة هي المعجزة - هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولاتمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم) الاية ٠٧٣.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - عبد الرحمن السعدى ٠٥٦٦/٦

(٣) التفسير الواضح د٠ محمد محمود حجازى - ٠٥٩/٢٤

فالقرآن الكريم ينوع في استدلالاته الدعوية لاولئك الاقوام الذين يوجّه اليهم الدعوة بصور متعددة فمرّة بأسلوب الترغيب والترهيب كما تقدّم ومرّة بالنظر إلى تلك الامم المتعددة والسالفة وكيف كانت نهايتهم بعد موقفهم من الدعوة ، وغيرها من الصور .

ويجب علينا أن ننهل من تلك الصور والاساليب الدعوية الابداعية المكنونة في القرآن ، والتي طالما حثنا بتوجيهاته المتعددة على تدبّرها والنظر إليها والتفاعل معها وعقلها والتأسي بها والعمل بموجبها .

* المبحث الثالث

لفت الأنظار إلى آيات الله الكونية

الداعية بحاجة إلى التعرّف على الأساليب التي ينبغي عليه أن يتبعها في عرض دعوته ولعل ماهو مكنون في المنهج القرآني من أساليب ووسائل كفيلة باثراء الداعيه بطرق متعددة يسلك أيها شاء حسب مايحتاج له مما يوافق ظروف مدعوية سواء كانوا أفراداً أم جماعات

فان الداعية يحتاج الى اعداد دقيق وذلك:

(١) من حيث تكوينه وتأهيله وتزويده بما يحتاجه من الضروريات الاساسية من :

أ ـ أخذه القدر الكافي من الزاد والحصيلة الشرعية .

ب ـ أخذه القدر الكافي من التعرف على البيئة والمجتمع الذى يعيش فيه من كافة النواحي والتعرف على أبرز احتياجات المدعو . ورغباته . فيدخل اليه عن طريق ماهو محبب عنده ..

(٢) ومن حيث إلمامه بأبرز وأحسن وأجود الاساليب والوسائل التي يتعامل بها في حقل الدعوة ـ التعرف علي أساليب الدعوة .

والقرآن الكريم يحتوى على مجموعة من الاساليب الجيدة التي تستخدم في عرض الدعوة وقد استخدمها الانبياء فعلا مع أقوامهم ، وقد نجحوا مع من شاء الله هدايته ومن هذه الاساليب :

لفت نظر المدعو الى آيات الله الكونية . كاختلاف الليل والنهار وتعاقبهما . وكون كل منهما يؤدى وظيفته التي ينطق بها ولو كان الوقت كله نهارا لما استقامت حياة لبشر وكذلك لو كان كله نهارا لما استقامت أيضا الحياة فا الله سبحانه عليم بما يصلح للبشر ولذلك جعلهما يتعاقبان بدقه (ألا يَعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) (١)

وجعل النهار يشرق في وقته المحدد وكذلك يأتي الليل بغروبه وظلامه في وقته المحدد فلايسبق نظام نظاما بل كل يسير وفق ماحددله .

---

(١) سورة الملك آية : ١٤.

ان كتاب الله المعجز حين يذكر الشمس والقمر والجبال والسحاب ، والامطار والانهار لم يذكر كل ذلك ليكون كتاب نظريات علمية ومعارف كونية يكب عليها الباحثون ويثقب فيها العالمون ثم ينتهي دوره عند ذلك إنما جاء ليلفت أنظار الناس إلى ايات الله من خلالها وتحريك عقولهم والبابهم لتصل إلى الايمان الراسخ بمن أوجدها وأبدعها!.

وكذلك الشمس والقمر ودورهما في هذا الكون العظيم ، فدور الشمس واحتياج عناصر الكون لها من الانسان والحيوان والنبات فهذه العناصر بحاجة الى شعاع الشمس بقدر مسمى وبنسبة معينة ،ولو فقدنا الشمس فان نظام هذا الخلق سيختل وهكذا القول في القمر فالقرآن يستدل بهذه الايات الكونية على المدعوين ويقول : انظروا على العظمة في الخلق الدقيق، والتكوين العجيب في هذه المخلوقات وكيف أنها تمشي كما رسم لها وحدّد فإنكم تقرّون بعظم خالقها أفلا تدل هذه العظمة في الخلق على عظمة الخالق على قدرته ـ سبحانه وتعالى ـ فإنّ هذا العظيم القدير هو المستحق وحده للعبادة وماخلقت هذه المخلوقات وغيرها الا لتقيم وحدة بناء هذا الكون وهي تسبح لله سبحانه وتعالى وتدل على وحدانيته وتنبه على أنه وحده هو المستحق للعبادة وعلى أن الدعوة التي يأمر بها هي التي يجب اتباعها كيف لا والذى أمر بها هو الله .

قال تعالى : (وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم ...) (١)

وفي هذه السورة ـ فصلت ـ التي تناولتها بالبحث تبرز هذه الايات: الليل والنهار، والشمس والقمر والارض لتدلّ على الدقة في خلقها التي بدورها تدلّ علي قدرة وابداع خالقها الذى يستحق العبادة وإجابة الدعوة فيقول تعالى :

---

(١) سورة الاسراء الاية : ٤٤.

(ومن آياته الليل والنهار والشمسوالقمر . لاتسجدوا للشمس ولا للقمر . واسجدوا لله الذ ى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون. فـــان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لايسأمون ومن آياتـه أنـك ترى الارض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذى أحياها لمحي الموتي انه على كل شيء قدير)(١)

---

(١) سور ه فصلت الاية : (٣٧ – ٣٩).

قال ابن جرير الطبرى :

فمن حجج الله تعالى على خلقه ودلالته على وحدانيته وعظيم سلطانه اختلاف الليل والنهار ومعاقبة كل منهما صاحبه والشمس و القمر ، لا الشمس تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون فلا تسجدوا أيها الناس للشمس ولا للقمر فإنهما وإن جريا في الفلك بمنافعكم فإنما يجريان بها لكم بإجراء الله إياهما لكم طائعين له في جريهما ومسيرهما لا بأنهما يقدران بأنفسهما على سير وجرى دون إجراء الله إياهما وتسييرهما أو يستطيعان لكم نفعا أو ضرا وإنما الله سخرهما لكم لمنافعكم ومصالحكم فله فاسجدوا وإياه فاعبدوا دونهما فانه إن شاء طمس ضوءهما فترككم حيارى في ظلمة لاتهتدون سبيلا ولاتبصرون شيئا. (١)

(واسجدوا لله الذى خلقهنّ إن كنتم إيّاه تعبدون)

فالسجود أقصى مراتب العبادة ولذلك فالسجود والركوع والانحناء لاتكون الا لله سبحانه فالخالق هو الذى يستحق هذه القداسة وحده سبحانه .

(فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسئمون)

أى ان تكبر هؤلاء عن الامتثال فالملائكة يديمون التسبيح لله سبحانه بالليل والنهار . وهم لايملّون ولايفترون ، وفي هذا تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وعزاء له في الدعوة . (٢)

---

(١) جامع البيان في تفسير القرآن ـ الطبرى ٧٧/

(٢) فتح القدير ـ الشوكاني ٥١٨/٤ بتصرف

(ومن اياته انك ترى الارض خاضعة فاذا أنزلنا عليها الماء ..)

فيامن تصح منه الروءية انظر الى الارض كيف هي (خاشعة) أى يابسة متطامنه ذليلة .

(فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزّت وربت) أي تحركت بالنبات وانتفخت لان النبت إذا دنا أن يظهر ارتفعت له الارض وانتفخت ثم تصدّعت عن النبات.

(إنّ الذى أحياها) بالنبات (لمحي الموتى) بالبعث (إنه على كل شيء قدير) .

فكما لم تعجز قدرته عن إحياء الارض لم تعجز عن إحياء الموتى فهو القادر سبحانه . (١)

عن أبي رزين العقلي قال قلت يارسول الله كيف يعيد الله الخلق وما آية ذلك ؟

قال : أمررت بوادى قومك جدبا ثم مررت به يهتز خضرا؟ قلت : نعم قال : فتلك آية الله في خلقه كذلك يحي الله الموتى . (٢)

ان الزارع ليضع في التراب حبا جافا لاحياة فيه فكيف يتحول هذا الحب الجاف الى رياض تتموج حياة ، وتهتز نضره ، وتشع خصبا ويخرج من بطن التراب تلك البذور الميته أشجارا ذات ورق وثمار.

فهل البعث الا كهذا ، وما معني استنكار مايقع شبيهه .

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ـ الالوسي ١٢٦/ بتصرف .

(٢) اخرجه الطبراني في المعجم الكبير عن أبي رزين ، ورجاله موثوقون انظر مجمع الزوائد ـ الهيثمي ـ كتاب الايمان ٨٥/١ ط دار الكتاب العربي ـ بيروت.

* الفصـــل الثالـــــــــــث :

((مجالات الدعوة في الســـــورة ويشتمل على ثلاثة مباحث))

المبحث الأول : الدعوة الى الايمـان بألوهية الله تعالى

المبحث الثاني : الدعوة الى الايمـــان بالحيـاة الآخرة

المبحث الثالث : الدعوة الى الايمـــان بالوحـــي ..

* المبحث الأول :

الدعوة الى الايمان بألوهية الله تعالى

اولا : الدعوه الي التوحيد في القصد والطلب والعباده

ان الهدف السامي من الاساس الذى دعت اليه الاديان السماويه عن طريق رسل الله المرسلين أو عن طريق كتبه المنزله على الانبياء المخلصين انما هو الدعوه الى التوحيد وافارد الله سبحانه با لعباده لانه لامعبود يستحق العبادة بحق الا الله سبحانه.

وهذه القضية هي التي حصل عندها النزاع البشرى بين مستجيب لهذه الدعوه ورافض لها .. ولقد قام الانبياء بالواجب تجاهها (ولقد بعثنا في كل آمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) (١)

ولقد استمر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشر عاما في مكه المكرمه يدعو الى هذه الحقيقه والى هذه اليقظه والعقيدة الاساسية التي ينبني كل شيء عليها لان العبد اذا أمر بالأولوهية هان كل شيء بعدها . وسهل ولذلك حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على استجابة قومه لها. ولذلك نراه يدعو عمه أبا طالب في مرض موته وهو يغرغر قل ياعم لا اله الا الله كلمه أحاج بها لك عند الله (٢) وكان عليه الصلاة والسلام يقول لسادات قومه مرارا : قولوا لااله الا الله كلمة تملكو ن بها العرب الخ ... وتدين لكم بها العجم) (٣)

وقد استمر عليه الصلاة والسلام مع قومه على هذه الحال ولكن قومه وقفوا ضده وقفة قويه فقاطعوه ونبذوه وعابوه وسبوه وتحرشوا به

---

(١) سورة النحل الاية ٣٦ (٢) اخرجه البخارى في كتاب مناقب الانصار باب قصة ابي طالب ١٩٣/٧ رقم ٠٣٨٨٣ ومسلم في كتاب الايمان باب صحة اسلام من حضره الموت مالم يشرع في النزع ٥٤/١ رقم ٠٢٤

(٣) انظر السيره النبويه ابن هشام تحقيق السقاوالابيارى وشلبي٢/٥٩+حياة الصحابة محمد يوسف الكاندهلوى ٠٣٣/١

وحاربوه واقاموا ممفاصله كامله لينهم وبينه لانه خالفهم في المعتقد خالفهم في قضية تعدد الالهه وفي الاستجابه والاذعان الي الاصنام والاوثان. وامرهم بضرورة توحيد الطلب والقصد والعباد ه فلا تكون العبادة الالله لانه الخالق الرزاق المتصرف في الكون واما الاوثان والاصنام فهي لاتستطيع أن تقدم خيرا او تدفع ضرا فهي جمادات لاحياة فيها فكيف تستطيع أن تفعل شيئا لغيرها ان ذلك من المغالطه مع النفس والحس .

وسورة فصلت من السور المكيه التي طابعها العا م الدعوه الى ارساء وتثبيت العقيدة الاسلامية الصحيحة كيف وقد نزلت في قوم كانت الجاهلية والوثنية منتشره فيهم.

قال تعالى (... قل انما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنّما إلٰهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين ...) (١)

فان رسول الاسلام ـ محمد اصلى الله عليه وسلم ـ دعا قومه الى التوحيد بشيرا ونذيرا ولكن أكثرهم أعرض عن الاستجابة ، بل لقد وصل الحدّ بهذا الممتنع عن الاستجابة الى أن يقول إنّ قلبي في كنان أى مغطى بعيد عن الاستجابة لما تدعو اليه بل زيادة علي ذلك فان في أذني وقر أي صمم عن الذي جئت به بل اية بيني وبينك حجاب وستار ومانع ولذلك فأنا على طريق مخالف لطريقك ، فلست بحاجة الى دعوتك بل انا سأعمل بما أراه حسنا لدي واعمل أنت بما تراه حسنا .

وكان جواب الرسول صلى الله عليه وسلم (إنما أنا بشر مثلكم يوحىٰ الي ....)

قال ابن جرير:

يقول تعالى : (قل يامحمد لهؤلاء المعرضين عن آيات الله من قومك . ايها القوم : ما أنا الا بشر من بني آدم مثلكم في الجنس والصورة والهيئة لست بملك يوحي الي .

بل أنا بشر أوحى الله الي أنه لامعبود لكم تصلح عبادته الا معبود واحد . فاستقيموا اليه بالطاعة ووجهوا وجوهكم بالرغبة والعبادة دون الالهة والاوثان واستغفروه وسلوه العفو لكم عن ذنوبكم التي سلفت منكم بالتوبة من شرككم يتب عليكم ويغفر لكم).(٢)

---

(١) سورة فصلت الاية : ٦

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن ـ الطبرى ٦٠/٢٤ بتصرف

(وويل للمشركين) : أى دمار لهم ـ وهلاك عليهم .

(الذين لايؤتون الزكاة وهم بالاخرة هم كافرون)

ولا يؤتون الزكاة ورد في معناها عدة أقوال :

(١) لايشهدون أن لااله الا الله ودليله (قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها) (١)

والمراد بالزكاة هنا طهارة النفس من الاخلاق الرذيله ومن أهم ذلك طهارة النفس عن الشرك.

وزكاة المال انما سميت زكاة لانها تطهره من الحرام وتكون سببا لزيادته وبركته وكثرة نفعه. وتوفيقا الى استعماله في الطاعات.

(٢) أى لايدينون بالزكاة .

(٣) أى يمنعون زكاة اموالهم .

والرأى الثالث هو اختيار ابن حرير وفيه نظر لان ايجاب الزكاة كان في السنة الثانية من الهجرة. وهذه الاية مكية .

اللهمّ إلا أن يقال : لايبعد أن يكون أصل الصدقة والزكاة كان مأمورا به في ابتداء البعثة كقوله تبارك وتعالى (وآتوا حقّه يوم حصاده) (٢)

---

(١) سورة الشمس الاية : ٩ ، ١٠

(٢) سورة الانعام الاية : ١٤١.

فأما الزكاة ذات النصب والمقادير فانما بين أمرها بالمدينة ويكون هذا جمعا بين القولين . (١)

وخلاصة القول :

فإنّ مجمل الدعوة الاسلامية التي دعا اليها الرسل الكرام هو الدعوة الى التوحيد .

أ ـ توحيد الله في الربوبية ـ توحيد الله بأفعاله كالخلق والرزق ..... الخ

ب ـ وتوحيد الله في الالوهية ـ توحيد الله بأفعال العباد كالاستغاثة والتوكل والخوف والانابة والرجاء ..... الخ

ح ـ وتوحيد الاسماء والصفات ـ توحيد الله بأسمائه وصفاته ومعناه تسمية ووصف الله سبحانه .

بما سمي أو وصف به نفسه أو سماه أو وصفه به رسوله من غير تشبيه ولاتكييف ولا تمثيل ولا تعطيل ولا تحريف .

وقد برزت الدعوة الى هذا المبدأ من خلال السوره ١ ... انما الهكم اله واحد .....)

فيجب الايمان به انقيدة والتسليم لها والعمل بموجبها وتحقيق مقاصدها . ويجب على الدعاة أن يستفيدوا من هذا التركيب الشديد على قضية العقيدة .

فيستفيد الداعية منهجا له في دعوته إذا كان المدعو يعتنق غير دين الاسلام فيبدأ معه بالقضية الكبرى قضية العقيدة .

---

(١) تفسير القرآن العظيم ـ ابن كثير ـ من ٤ ـ ٩٢.

ويستفيد الداعية أيضا من هذه الخطوات في الدعوة اذا كان المدعو مسلما فيأن يبدأ معه بما هو أهم ثم اذا تجاوزه رجع الى المهم . فنبدأ أولا بالضروريات ثم نعود الى الكماليات وهكذا ....

وقد وضح رسول الله صلى الله عليه وسلم مراتب الايمان حسب أهميتها حين قال :

(الايمان بضع وسبعون شعبة ، أعلاها : لوله لااله الا الله . وأدناها اماطة الاذى عن الطريق .. والحياء شعبة من الايمان) (١)

---

(١) اخرجه البخارى في كتاب الايمان ، باب أمور الايمان ١ - ٥١ رقم ٩ واخرجه مسلم في كتاب الايمان باب عدد شعب الايمان ١ - ٦٣ رقم ٣٥.

ثانيا : الاستدلال ببعض آيات الله على ألوهيته سبحانه :

ان توحيد الالوهيه هو أول دعوة الرسل وأول منازل الطريق وأول مقام يقوم فيه السالك الى الله عز وجل . ولو حاز : تعدد الآلهة لفسد نظام العالم والله قد أشار الى ذلك بقوله :

(لو كان فيها آلهة الا الله لفسدتا) (١)

فيام العالم انما هو بالعدل وان من أعدل : التوحيد ولو كان فيالكون الهان ـ تعالى الله عن ذلك ـ فانهما لامحالة سيختلفان .

فانه قد يريد أحدهما ايجاد أمر ويرد الآخر عدمه .

فاما أن يحصل مراد أحدهما فهو الاله الحق الذى يستحق العباده واما أنه لايحصل مرادهما جميعا ولا يكونان آلهة بحق .

وأما أن يحصل مرادهما جميعا وهذا مستحيل لانه جمع بين نقيضين والنقيضان لايجتمعان ولايرتفعان .

فاثبات ألوهية الله هو : الحق الذى لامرية فيه والى هذا دعا الانبياء وعلى رأسهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . (٢)

---

(١) اخرجه البخارى في كتاب الايمان باب امور الايمان ١ ـ ٥١ رقم ٩ واخرجه مسلم في كتاب الايمان . باب بيان عدد شعب الايمان ١ ـ ٦٣ رقم ٠٠٣٥ (٢) شرح العقيدة الطحاويه ـ ابن أبي العز الحنفي ص ٨٦ بتصرف .

الله سبحانه وتعالى يعيب على اهل مكه كفرهم به كيف وانهم يـــرون آيات الله في الكون وفي أنفسهم تشهد بواحدانية اللـــه ومن آيات اللـــه انه قد خلق هذه الارض العظيمة في يومين ، فلو قيل لاهل مكه انّ رجلا ما توصل الى صنع سيارة ما مثلا في ذلك الوقت لتعجبوا أيمّا تعجّـــب ولأثنوا على هذا الابتكار والإختراع العجيب . ولقدّروا لهذا الصانـــع صنعته ولقالوا انه عظيم يستحق كل شكر واحترام وتقدير بل إنّـــه ليستحق: أن يستمع لقوله وان تجاب دعوته وان تلبي طلباته وان يجعـــل له مكان مرموق وبارز فيما بينهم .

والله سبحانه وتعالى ينبّههم إلى مثل هذا مع بعد الفارق والقياس ـ و لله المثل الاعلى ـ فلامقارنة في خلق الله لشيء ما وبين توصـــل فرد من البشر المعلومة معينة او الى اختراع جهاز ما ، فالعبـــد قاصر وناقص ، وما توصل اليه عرضة للفناء في أي وقت اضافة الى أن مالديه من معلومات وعلم لاتساوى شيئاً بالنسبة الى علم الله تعالى (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) (١)

واضافة الى ان حصول هذا الفرد من الناس الى هذه المعلومـــات من تعليم الله له وذلك باتباعه قوانين المعرفة التي محصلتهـــا توصل الى ثمرة حسنة .

فالمثل القرآني في هذه الايات (قل أأنكم لتكفرون بالذي خلـــق الارض في يومين وتجعلون له أندادا . ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسي من فوقها . وبارك فيها وقدّر فيها أقواتها في أربعة أيـــام سواء للسائلين . ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها . : قالتا أتينا طائعين. فقضاهن سبع سموات . وأوحى في كل سماء أمرها وزيّنا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا . ذلك تقدير العزيز العليم). (٢)

---

(١) سورة الاسراء الاية : ٨٥ (٢) سورة فصلت الاية : ٩ ـ ١٢.

ويمضي الداعية يكشف لهم عند شناعة الحرم الذى يرتكبونه بالشرك والكفر يمضي بهم في المحال الكوني العريض محال السموات والارض، والكون الذى هم بالقياس اليه شيء هزيل ضيل يمضي بهم في هذا الكون الذى هم جزء منه ثم ليخرجهم من الزاوية الضيقة الصغيرة التي ينظرون منها الى هذه الدعوة حيث يرون أنفسهم وذواتهم كبيرة كبيرة ويشغلهم النظر اليها والياختيار ـ محمد صلى الله عليه وسلم ـ من دونهم والحرص على مكانتهم ومصالحهم الى اخر هذه الاعتبارات الصغيرة يشغلهم هذا عن النظر الي الحقيقة الضخمة التي جاءهم بها محمد صلى الله عليه وسلم . ونقلها هذا القران الحقيقة التي تتصل بالسموات والارض وتتصل بالبشرية كلها في جميع اعصارهاوتتصل بالحق الكبير الذى يتجاوز زمانهم ومكانهم وشخوصهم وتتصل بالكون كله في الصميم . (١)

وجعل فيهارواسي من فوقها وكثيرا مايرد تسمية الجبال " رواسي" وفي بعض المواضع يعلل وجود هذه الرواسي ان تميد بكم أى انهاراسية وهي ترس الاض وتحفظ توازنها فلاتحيد ... ولقد غير زمان كان الناس يحسبون انارضهم هذه ثابته راسخة على قواعد متينة ثم جاء زمان يقال لهم فيه الان ان ارضكم هذه ان هي الا كرة صغيرة سابحة في فضاء مطلق لاتستند الى شيء ... انها ترسي الارض فلا تحيد وتحفظ التناسق بين القيعان في المحيطات والمرتفعات في الارض فتتوازن فلاتحيد (٢)

---

(٢) شرح العقيدة السماوية ـ ابن ابي العز الحنفي ص ٨٦ بتصرف

(١) في ظلال القرآن ـ سيد قطب ٣١٠٩/٥

(٢) المصدر السابق ٣١١٢/٥.

فالله سبحانه يقول انظروا كيف ان الله سبحانه قد خلق هذه الارض ، العظيمة في يومين فقط فكيفتجعلون له أندادا لايستطيعون انيفعلوا مثل فعله فالله قد جعل على الارض رواسيوهي الجبال،وهذا من حكمته سبحانه . فالجبال ترسي الارض ، وجعل هذه الارض مباركة فرزق الانسان والحيوان.

عادة يكون من الارض بخلاف مايرزق به من السماء ولا تقف الايات عند هذا الحدّ،بل ان الله قدقدر في الارض . الاقوات في أربعة أيام فيالها من عظمة،ويالله من إجلال لهذا الخالق،ثم ان هذا الخالق قصد الى السماء وكانت دخانا،وخيّرها والارض بأن تستجيب لأمر الله أو ترفض وأنّى لها أن ترفض . فاستجابت قائلة (أتينا طائعين) فجعل الله السماوات سبعا ثم جعل لكل سماء مهمة وعمل،وأوحى في كلسماء أمرها . وقد زين الله سبحانه وتعالى السماء الدنيا بالمصابيحوهي النجوم ، وزيّنها بحفظها من الشياطين،فكل هذه الافعال وهذه التقادير من تقدير العزيز العليم الذى عزّته قهر بها الاشياء ودبّرها وخلق بها المخلوقات.والذى بعلمه أحاط بالمخلوقات . الغائب والشاهد منها . فهذه الايات تنطق بأنّ خالقها : المستحق للعبادة . -عبادة التسبيح-هو الله سبحانه (ذلك رب العالمين) فهذا هو لسانحالها ومقالها .

فكيف بكم يامن تعقلون ويامن تبصرون وتسمعون ألا يكفي بهذه الايات دليلا لكم على ان توحدوا طلبكم وقصدكم وعبادتكم الى خالقكم وهو الله وتطرحون ماسواه جانبا ..

والحق سبحانه لم يقتصر بهذه الايات وحدها لتدعوكم الى التوحيد في الالوهية والعبادة بل دعاكم بها صراحة وذلك عن طريق تبليغ الرسول لكم وعن طريق لفت نظركم بآيات القرآن ولكن قليل منكم من اتعظ . فما أكثر العبر وأقلّ الاعتبار .

قال ابن كثير حول آية (قل أئنكم لتكفرون ....)

هذا انكار من الله تعالى على المشركين الذين عبدوا معه غيره وهو الخالق لكل شيء ،القاهر لكلشيء ،المقتدر على كل شيء فقال، ... (قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الارض في يومين وتجعلون له أندادا) أي نظراء وأمثالا تعبدونها معه (ذلك رب العالمين).

أى الخالق للاشياء هو رب العالمين كلهم .

(خلق الارض في يومين) يعني يومين من أيام الله (وجعل فيهارواسي من فوقها وبارك فيها.) أى جعل عليها الجبال لترسيهاوتمسكها من الذهاب ، وجعل الأرضمباركة قابلة للخير والبذر والغراس . (وقدّر فيها أقواتها) وهو مايحتاج أهلها إليه من الأرزاق والأماكن التي تزرع وتغرس وذلك يوم الثلاثاء والاربعاء فهما من اليومين السابقين. أربعة ولهذا قال (في أربعة أيام سواء للسائلين) أى لمن أراد ان يسأل عن ذلك ليعلمه .(١)

(ثم استوى الى السماء) أى بعد ان خلق الارض قصد الى خلق السماء (وهي دخان) قد صار علىوجه الماء (فقال لها) ولما كان التخصيص يوم الاختصاص ، عطف عليه بقوله :

" وللارض ائتيا طوعا أو كرها) أى انقادا لأمري طائعتين أو مكروهتين فلابد من نفوذه (قالتا أتينا طائعين) أى : ليس لنا إرادة تخالف إرادتك . (٢)

انها ايماء ة عجيبة إلى انقياد هذا الكون للناموس ، وإلى اتصال

---

(١) تفسير القرآن العظيم ـ ابن كثير ٩٢/٤ ـ ٩٣.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ السعدى ٥٦١/٦.

حقيقة هذا الكون بخالقه اتصال الطاعة والاستسلام لكلمته ومشيئته وهذا الكون يخضع لله قسرا رضي أم كره .

ولكن هذا الانسان يحاول ان يتغلب وينحرف عن المجرى الهين اللين.

إننا نخضع كرها ويالينا نخضع طوعا ، ليتنا نلبي تلبية الارض والسماء في رضى وفي فرح باللقاء بروح خاضعة مطيعة ملبية مستسلمة لله رب العالمين إنها الطريق الى الله .(١).

(فقضاهن سبع سموات) أى خلقن خلقا متقنا ، وأبدع أمرهن حسبما تقتضيه الحكمة الالهية.

(وأوحى في كل سماء امرها)

وأوحى الى اهل كل من السموات أوامره ، وكلفهم بما يليق بهم.

(وزينا السماء الدنيا بمصابيح) أى بالنحوم.

(وحفظا) ، من كل شيطان رجيم .

(ذلك) المذكور الذى يعجز القلم عن وصفه (تقدير العزيز العليم)(٢)

---

(١) في ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ ٣١١٤/٥ بتصرف .

(٢) التفسير الواضح ـ د. محمد محمود حجازى ٥٦/٢٤.

* المبحث الثاني :

الدعوة الى الايمان بالحياة الآخرة

إنّ مجال الايمان بالحياة الآخرة، لمن المجالات المهمّة والأساسية والتي ركّزت السوة على الدعوة إليها، بين قوم لايؤمنون به . علّهم يؤمنون ، فتخبت له قلوبهم . أو يحدث لهم الرحمن ذكرا.

وان الايمان بالحياة الاخرة هو احد أسس الايمان وأركانه الستة قال تعالى: (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الاخر والملائكة والكتاب والنبيين) (١)

وفي حديث جبريل المشهور حين جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وسأله عن الاسلام والايمان والاحسان وكان على صورة أعرابي .

فقال صلى الله عليه وسلم عن الايمان :

أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وتؤمن بالقدر خيره وشره . (٢)

فالقرآن يهدد الكفار بسبب كفرهم بالاخرة وحقائقها.

(...وويل للمشركين الذين لايؤتون الزكاة وهم بالاخرة هم كافرون) (٣)

ويبين القران ان الكفار في شك من لقاء ربهم..

(ألا انهم في مرية من لقاء ربهم ألا انه بكل شيء محيط) (٤)

ويعرض سبحانه للطريقتين الذى لاثالث لها ،فأى الطرق تختارون أيها السائرون والسائرون.

قال تعالى : (ان الذين يلحدون في آياتنا لايخفون علينا أفمن يلقى في النار خير أمّن يأتي آمنا يوم القيامة . إعملوا ماشئتم إنّه بما تعملون بصير) (٥)

---

(١) سورة البقرة الاية : ١٧٧

(٢) أخرجه البخارى في كتاب الايمان ،باب سؤال جبريل النبي عن الايمان ١/١١٤ رقم ٥٠، وأخرجه مسلم في كتاب الايمان والاسلام ١/٣٦ رقم ٨.

(٣) سورة فصلت ٦ ،٧. (٤) سورة فصلت ٥٤ (٥) سورة فصلت ٤٠

وحقائق اليوم الاخر والتي أمرنا بالايمان بها كثيرة ولعلّ أهمها وأبرزها مايأتي :-

(١) القبر ومايحدث فيه من نعيم أو عذاب .

(٢) الايمان بأشراط الساعة الصغرىٰ والكبرىٰ .

(٣) النفخ في الصور فالبعث بعد أن تعود الأرواح الى الأجساد .

(٤) الحشر .

(٥) جزاء الأعمال .

(٦) العرض والحساب .

(٧) الحوض .

(٨) الميزان .

(٩) الصراط .

(١٠) الجنة والنار . (١)

فلو استرسلت في ذكر وتفصيل كل حقيقة من حقائق اليوم الاخر ، لطال بي الامر ، وكل حقيقة منها تحتاج الي بحث مستقل . واقتصر في هذا البحث على الحقيقتين الأخيرتين لورودهما في سورة (فصلت).

فسأذكر النار وماورد فيها من الوعيد ، نسأل الله السلامة والعافية ـ وأعقبها بذكر الجنة وماورد فيها من الوعد ، نسأل الله العظيم أن يورثنا إيّاها.

---

(١) الايمان ـ د. محمد نعيم ياسين ٧٣ ـ ١٢٤ باختصار شديد.

أولا : النار ـ أعاذنا الله منها:

يعرض الله سبحانه وتعالى في سورة فصلت حشر أعدائه إلى النّار وان كل شيء سيشهد عليهم في ذلك اليوم بأعمالهم السيئة التي أوصلتهم الي هذا المآل .

ويذكر الله سبحانه ان العذاب حال بهم لامحاله سواء صبروا عليه وتحملوه وانيلهم ذلك،أم لم يصبروا وان النار هي مأواهم ومصيرهم ذلك جزاء جحدهم بآيات الله وتكذيبهم رسوله .

قال تعالى : (ويوم يحشر أعداء الله إلى النّار فهم يوزعون. حتى اذا ماجاوءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بماكانوا يعملون . وقالوا : لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا: أنطقنا الله الذي أنطق كلّ شيء وهو خلقكم أوّل مرة وإليه ترجعون.وماكنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولاأبصاركم ولكن ظننتم أن الله لايعلم كثيرا مما تعملون ،وذلك ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين . فإن يصبروا فالنّار مثوىٰ لهم وإن يستعتبوا فماهم من المعتبين. وقيضنا لهم قرناء فزيّنوا لهم مابين أيديهم وما خلفهم وحقّ عليهم القول في أمم قد خلت منقبلهم من الجن والانس إنّهم كانواخاسرين . وقال الذين كفروا لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون . فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينّهم أسوأ الذي كانوا يعملون . ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوابآياتنا يجحدون) (١)

---

(١) سورة فصلت : الايات ١٩ ـ ٢٨.

فالقرآن يبين لنا موقف هؤلاء المعاندين الرافضين للدعوة ، كيف كان موقفهم؟

وماهي الطريقة التي اتبعوها ؟ وماجزاؤهم بعد ذلك ؟

وفي عرضه لهذه الفئة من البشر ، يلفت الأنظار إلى أنّ هذا جـــزاء مـن تنكّب عن الاستجابة وأعرض عن قبول الدعوة ورفضها.

فيدعو إلى الايمان بالحياة الاخره ومافيهامن حقائق وان من أبرز حقائقها أنها تكون هناك الحياة الابدية فإمّانعيم وإمّا عذاب عظيم .

وسأتطرق فيمايأتي بشيء من التفصيل عن النار ومواورد فيها:-

* الانذار بالنّار والتحذير منها:

قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد ، لا يعصون اللـــه ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون) (١)

وعن عدي بن حاتم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اتقوا النار ولو بشق تمره فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة)(٢)

* طبقات النار وأبوابها:

قال تعالى : (ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار) (٣)

---

(١) سورة التحريم الاية : ٦

(٢) اخرجه البخارى في كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الاسلام ٦ – ٦١٠رقم٣٥٩٤– وأخرجه مسلم في كتاب الزكاة ، باب الحثّ على الصدقة ولو بشق تمره٢/٧٠٣رقم١٠١٦(٣)سورة النساء الاية :٠١٤٥

وقال تعالى : (لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم ..) (١)

وعن ابن جريج قال : أولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية وفيها ابو جهل .

* قعر جهنم وعمقها:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :

كنا عند النبي صلي الله عليه وسلم يوما فسمعنا وجبة ، فقال النبي أتدرون ما هذا ، فقلنا ، الله ورسوله اعلم ، قال : هذا حجر أرسل في جهنم منذ سبعين خريفا . فالآن انتهي إلى قعرها) (٢)

* إحاطة سرادق جهنم بالكافرين :

قال تعالى : (انا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها ....) (٣)

قال الزجاج : السرادق : كل ما أحاط بشيء .

وإحاطة السرادق بهم موجب لهمّهم وغمّهم وكربهم وعطشهم لشدة وهج النّار عليهم (وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا) (٤)

---

(١) سورة الحجر الاية : ٤٤

(٢) اخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق ٢٢٧٨/٤ رقم ٢٩٦٧

(٣) سورة الكهف الاية : ٢٩

(٤) سورة الكهف الاية : ٢٩

* النار مظلمة وسوداء:

عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

(أوقد على النار ألف سنة حتى ابيضّت ثم أوقد عليها الف سنة حتى احمرت ، ثم اوقد عليها الف سنة حتى اسودت فهي سوداء كالليل المظلم (١)

وعن الضحاك قال : جهنم سوداء ، رمادها اسود وشجرها أسود وأهلها اسود وقد دل على سواد اهلها قوله تعالى :

(كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) (٢)

* شدة حرّها وزمهريرها:

قال تعالى : (وقالوا لاتنفروا في الحرّ قل نار جهنم أشدّ حرّا لو كانوا يفقهون) (٣)

وعي أبي هريره رضي الله عنه عن النبي صلي الله عليه وسلم قال : (ناركم هذه التي يوقد بنو آدم ، جزء واحد من سبعين جزءا من نار جهنم قالوا والله انها لكافية قال : انها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلهم مثل حرها) (٤)

---

(١) اخرجه الترمزى في كتاب صفة جهنم ـ ٤/٧١١ رقم ٢٥٩١ واخرجه بن ماجه في كتاب الزهد . باب صفة النار ٢/١٤٤٥ رقم ٤٣٢٠

(٢) سورة ال عمران الاية : ١٠٦ (٣) سورة التوبة اية : ٨١

(٤) اخرجه البخارى في كتاب بدء الخلق ، باب صفة النار وانها مخلوقه ٦/٣٣ رقم ٣٢٦٥ ومسلم في كتاب الجنة باب في شدة حر نار جهنم ٤/٢١٨٤ رقم ٢٨٤٣

وقال ابن عباس : ان في جهنم بردا هو الزمهرير يسقط اللحم حتى يستغيثوا بحرّ جهنم .

وقال ابن مسعود : الزمهرير لون من العذاب .

* النار لها تغيّظ وزفير :

قال تعالى : (واُعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا . إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا) (١)

* النّار لها سلاسل واُغلال :

قال تعالى : (إنّا اُعتدنا للكافرين سلاسل واُغلالا وسعيرا) (٢)

وعن الحسن (ان الاُغلال لم تجعل في أعناق أهل النار لأنهم أعجزوا الربّ عز وجل ،ولكنها إذا طفيء بهم اللهب أُرستهم ،قال : ثم خرّ الحسن مغشيا عليه) (٣)

---

(١) سورة الفرقان الاية : ١١ ، ١٢

(٢) سورة الانسان الاية : ٤

(٣) التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار - ابن رجب ١٠ - ٩٠ بتصرف.

* طعام أهلها وشرابهم :

قال تعالى : (إنّ شجرة الزقوم طعام الأثيم . كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم) (١)

وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الاية (اتقوا الله حق تقاته ولاتموتن إلاّوأنتم مسلمون) (٢)

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيالأفسدت على أهل الدنيا معايشهم فكيف بمن تكون طعامه) (٣)

وقال تعالى : (ثمّ إنّكم أيّها الضّالون المكذّبون لآكلون من شجر من زقوم . فمالئون منها البطون.فشاربون عليه من الحميم . فشاربون شرب الهيم. هذا نزلهم يوم الدين .) (٤)

* كسوتهم :

قال تعالى : (فالذين كفروا قطّعت لهم ثياب من نار ...) (٥)

عن سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (منهم من تأخذه النار إلى كعبيه. ومنهم من تأخذه النار إلى ركبتيه. ومنهم من تأخذه النار إلى ترقوته) (٦)

---

(١) سورة الدخان الاية : ٤٣ – ٤٦ (٢) سورة ال عمران الاية ١٠٢.

(٣) اخرجه الترمذى في كتاب صفة جهنم باب ماجاء في صفة شراب أهل النّار ٤/٧٠٦رقم ٢٥٨٥. وأخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد ٢/١٤٤٦رقم٤٣٢٥. واخرجه ابن حبان في صحيحه . انظر الاحسانبترتيب صحيح ابنحبان لعلاء الدين الفارسي . باب صفة النار وأهلها ٩/٢٧٨رقم٧٤٢٧ط دار الكتب العربية ببيروت تعليق كمال يوسف الحوت.

(٤) سورة الواقعة الاية :٥١–٥٦ (٥)سورة الحج الاية : ١٩.

(٦) اخرجه مسلم في كتاب الجنة باب في شدة حرّنار جهنم ٤/٢١٨٥رقم٢٨٤٥.

وعن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم : (إنّ أدنى أهل النّار عذابا ينتعل بنعلين من نار يغلي دماغه من حرّ نعليه) (١)

* حجبهم عن الله تعالى :

قال تعالى : (كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون . كلا إنّهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون. ثم إنهم لصالوا الجحيم ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون) (٢)

* بكاء اهل النار وزفيرهم وشهيقهم وصراخهم :

قال تعالى : (فأمّا الذين شقوا ففي النّار لهم فيها زفير وشهيق) (٣)

قال قتادة : صوت الكافر في النار مثل صوت الحمار ، أوّله زفير وآخره شهيق .

وقال تعالى : (وهم يصطرخون فيها ...) (٤)

* خزنة جهنم وزبانيتها :

قال تعالى : (عليها تسعة عشر وماجعلنا اصحاب النار الا ملائكة وماجعلنا عدّتهم إلا فتنة للذين كفروا ....) (٥)

---

(١) اخرجه مسلم في كتاب الايمان ، باب أهون أهل النار عذابا ١ /١٩٥ رقم ٢١١.

(٢) سورة المطففين الاية : ١٤ – ١٧ .

(٣) سورة هود الاية : ١٠٦

(٤) سورة فاطر الاية : ٣٧.

(٥) سورة المدثر الاية : ٣٠ – ٣١ – للاستزاده انظر التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار – ابن رجب الحنبلي١٠٥ – ١٦٠.

ثانيا : الجنّـــة : - جعلنا الله من أهلها .

كثيرا مايرد الترغيب بعد ذكر الترهيب في أسلوب القران. وهذا من باب نهي النفس عن الوقوع في الرذيلة فتخوّف ثم يذكر بعده تحبيب فعل الفضيلة وماسيحصل للفاعل من أجر . يظهر هذا جليّاً في سورة فصلت :

قال تعالى : (إنّ الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولاتحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون. نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ماتشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدّعون . نزلا من غفور رحيم)(١)

والحديث عن الجنة وما أعد الله فيها حديث ذو شجون ولعل في الحديث عنها : إغراء للمؤمن بصالح الأعمال التي توصله إلى تلك الدّار. وتشجيعا له على المضي بعزم ويقين نحو طريق الله وهداه.

* أسماؤها :

(١) الجنة ، قال تعالى (مثل الجنة التي وعد المتقون..)(٢)

(٢) دار السلام ، قال تعالى (والله يدعو إلى دار السلام)(٣)

(٣) دار الخلد ، وسميت بذلك لان اهلها لايرحلون عنها ابدا ،ولا يغادرونها مطلقا .

---

(١) سورة فصلت الاية : ٣٠ – ٣٢

(٢) سورة محمد الاية : ١٥

(٣) سورة يونس الاية : ٢٥.

قال تعالى : (عطاء غير محذوذ) (١) ، (وماهم منها بمخرجين) (٢)

(٤) دار المقامة ، قال تعالى حكاية عن أهلها :

(وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنّا الحزن إنّ ربنالغفور شكور . الذى أحلّنا دار المقامه من فضله ...) (٣)

(٥) جنّة المأوى ، قال تعالى (عندها جنة المأوى) (٤)

(٦) جنات عدن ، قال تعالى : (جنات عدن التيوعد الرحمن عباده بالغيب) (٥)

(٧) دار الحيوان ، قال تعالى : (وإنّ الدار الآخرة لهي الحيوان) (٦)

(٨) الفردوس ، قالتعالى : (أولئك هم الوارثون.الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) (٧)

(٩) جنات النعيم ، قال تعالى : (إن الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم) (٨)

---

(١) سورة هود الاية : ١٠٨

(٢) سورة الحجر الاية : ٤٨

(٣) سورة فاطر الاية : ٣٤ – ٣٥

(٤) سورة النجم الاية : ١٥

(٥) سورة مريم الاية : ٦١

(٦) سورة العنكبوت الاية : ٦٤

(٧) سورة المؤمنون الاية : ١٠ ، ١١

(٨) سورة لقمان الاية : ٨ .

(١٠) المقام الامين : قال الله تعالى : (إنّ المتقين في مقام أمين)[١]

(١١) مقعد صدق : قال تعالى : (إنّ المتقين في جنات ونهر . في مقعد صدق عند مليك مقتدر) (٢)

* صفة أهل الجنة : قال تعالى : (وجوه يومئذ مسفرة . ضاحكة مستبشرة) (٣)

وعن ابي هريره رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أوّل زمرة يدخلون الجنة علي صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم علي أشدّ كوكب درى في السماء اضاءة لايبولون ولايتغوطون ولا يتفلون. أمشاطهم المذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الألوه (٤)

أزواجهم الحور العين على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم.(٥)

* أبواب الجنة : ثمانية :

عن عمر بن الخطاب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : امامنكم من أحد يتوضأ فيبالغ أو فيسبغ الوضوء ثم يقول : أشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له وأشهد أنّ محمد عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنّة الثمانية يدخل من أيها شاء. (٦)

---

(١) سورة الدخان الاية : ٥١ (٢) سورة القمر الاية : ٥٤ ـ ٥٥ للاستزادة انظر حادي الارواح إلى بلاد الافراح ابن القيم ـ ٦٥-٧١.

(٣) سورة عبس : الاية ٣٨ ، ٣٩ . (٤) الالوه : عود هندى يتبخر به.

(٥) رواه البخارى في كتاب بدء الخلق باب ماجاء في صفة الجنة ٣٢٠/٦ رقم ٣٢٥٤. ورواه مسلم في كتاب صفة الجنة وباب أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر .(٢١٧٨/٤). رقم ٢٨٣٤.

(٦) اخرجه مسلم في كتاب الطهارة باب الذكر المستحب عقب الوضوء ٢١٠/١رقم (٢٣٤).

* أدنىٰ اهل الجنة منزلة :

عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

سأل موسى ربه : ما أدنى أُهل الجنة منزلة ؟ قال : هو رجل يجيء بعدما أدخل أُهل الجنة الجنة فيقال له : أُدخل الجنة فيقول أي رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم . فيقال له أترضى مثل ملك من ملوك الدنيا ؟ فيقول، رضيب رب ،فيقول : لك ذلك ومثله ومثله ، فيقول في الخامسة رضيت رب فيقول : لك هذا وعشرة أمثاله ، ولك ما اشتهت نفسك ولذّت عينك يقول رضيت رب قال رب : فأعلاهم منزلة ؟ قال : أُولئك الذين أردت غرس كرامتهم بيدى وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أُذن ولم يخطر على قلب بشر) (١)

* غرف الجنة :

قال تعالى : (لكن الذين اتّقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية) (٢)

---

(١) اخرجه مسلم في كتاب الايمان باب أدنىٰ أُهل الجنة منزلة فيها ١٧٦/١ رقم ١٨٩.

(٢) سورة الزمر الاية ٢٠.

* أنهارها :

قال الله تعالى : (مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن . وأنهار من لبن لم يتغيّر طعمه . وأنهار من خمر لذّة للشاربين. وأنهار من عسل مصفى .. ولهم فيها من كلّ الثمرات ومغفرة من ربهم ...)(١)

* عرائسها :

عرائس أهل الجنة ينشؤهن الله إنشاءا عربا أترابا كما ينشئ معهم الحور العين ، كأنهن بيض مكنون وهم مطهرات من عيوب النساء ، فلا حيض ولا نفاس ولا دمامة خلق ولا سوء خلق . (٢)

فقد وعد الله عباده المؤمنين بهن في الجنّة وطبعهن على أجمل صورة وأحسنها ، طيبات الروائح عطرات الأردان يستغرق حسنهن الباهر كل لبّ ويسبي جمالهن كل عقل ويستهوي كل قلب .

قال تعالى : (إنّ المتقين في مقام أمين في جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق متقابلين . كذلك وزوجناهم بحور عين) (٣)

وقال تعالى : (وحور عين. كأمثال اللؤلؤ المكنون) (٤)

وقال تعالى : (فيهم خيرات حسان فبأى آلاء ربكما تكذبان . حور مقصورات في الخيام لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان .) (٥)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (...وإنّ لكل واحد من أهل الجنة زوجتان يُرى مخ ساقهما من وراء اللحم من الحسن) (٦)

---

(١) سورة محمد الاية : ١٥ ، انظر نعيم الجنة في القرآن والسنة ـ عبد اللطيف عاشور ٥١ـ٥٣

(٢) العقائد الاسلامية ـ سيد سابق ص ٣٠٢ (٣) سورة الدخان الاية : ٥١ـ ٥٤

(٤) سورة الواقعة الاية : ٢٢ ، ٢٣ (٥) سورة الرحمن الاية : ٧٠ ـ ٧٤ .

(٦) أخرجه مسلم في كتاب الاجنة ـ باب صفات الجنه واهلها ٤/٢٣٨٠ رقم ٢٨٣٤ للاستزاده انظر عقيدة المؤمن لابي بكر جابر الجزائري ص ٣٦٧ وما بعدها .

لكنهن كواعب ونواهـــد ... فثديهن كألطف الرمـــــان

والجيد ذو طول، وحسن في بيا ... ض واعتدال ليس ذا نكـــران

يشكو الحلي بعاده فله مدى ... الايام وسواس من الهجـــران

والمعصمان فان تشأشبههمـــا ... بسبيكتين عليها كفـــــان

كالزبد لينا في نعومة ملمس ... أصداف وزُدُورت بـــــوزان

والصدر متسع على بطن لهـــا ... حفّت به خصرات ذات ثمـــان

وعليه أُحسن سرة هي مجمـــع ... ال، خصرين قد عازت من الامكان

حث من العاج استدار وحولـه ... حبات مسك حل، ذو الاتقـــان

واذا انحدرت رأيت أُمراًهاً ... لا مالملصفات عليه من سلطـــان

لا الحيض يغشاه ولا بول ولا ... شيء من الافات في النســوان

.....

يارب غفرا قد طفت أُقلامنـــا ... يارّب معذرة من الطغيـــان

أُقوامها من فضة قد ركبـــت ... من فوقها ساقان ملتفـــان

والساق مثل العاج ملموم يرى ... مخّ العظام وراءه بعيـــان

والريح مسك والحسوم نواعـم ... واللون كالياقوت والمرجـان

وكلاهما يسبي العقل بنغمـــة ... زادت على الاوتار والعيـــدان (١)

---

(١) الكافية الشافية لابن القيم ـ شرح احمدبن عيسى ٥٤٨/٢ ـ ٥٦٢ باختصار شديد.

* رؤية الله سبحانه :

عن صهيب رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : اذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، نادى مناد ، يا أهل الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد ان ينجزمكوه ، فيقولون : وماهو؟ ألم يثقل ميزاننا ، ألم يبيض وجوهنا ،ويدخلنا الجنة وينجينا من النار ؟ فيكشف الحجاب ، فينظرون إليه ، فوالله ما أعطاهم الله شيئا أحبّ اليهم من النظر اليه . (١)

---

(١) اخرجه مسلم في كتاب الجنة باب النار يدخلها الجبارون ٢١٨٩/٤ رقم ٢٨٤٩.

وقال ابن القيم في نونيته :

ولقد أتانا في الصحيحين اللذين هما اصح الكتب بعد قران ...

برواية الثقة الصدوق جرير البجلي عمن جاء بالقران ....

إنّ العباد يرونه سبحانـــــــــه

رؤيا العيان كمايرى القمـــــــــران

فإن استطعتم كل وقت فاحفظـــــوا

البردين ماعشتم مدى الأزمـــــــــان

ولقد روى بضع وعشرون امرءا

من صحب أحمد خيرة الرحمـــــــــن

أخبار هذا الباب عمن قد أتي

بالوحي تفصيلا بلا كتمـــــــــان

والذّ شيء للقلوب فهذه ال

أخبار مع أمثالها هي بهجة الايمـــان

والله لو لا رؤية الرحمن

في الجنات ماطابت لذي العرفـــــان

أعلى النعيم نعيم رؤية وجهه

وخطابه في جنة الحيـــــــــوان (١)

---

(١) الكافية الشافية ـ لابن القيم ـ شرح احمد بن عيسي ٢/٥٧٧ـ٥٧٩

* المبحث الثالـــــــــــــث :

الدعـــــوه الى الايمـــــان بالوحي

وفيه مسألتـان :

المسألة الأولى : الدعوة الى اثبات رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

المسألة الثانية : الدعوة الى أن القرآن تنزيل من ربّ العالميـــــن .

* المسألة الاولى :

اثبات رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم :

تبرز السورة هذه الحقيقة الواضحة التي قالها رسوا، اللهصلى الله عليه وسلم لقومه في انه رسول من رب العالمين ويجب عليهم تصديقه فيما يخبر به . وطاعته فيما يأمر به . والوقوف عندما ينهى عنه .

قال الله تعالى : مخاطبا رسوله صلى الله عليه وسلم :

(قل إنّما أنا بشر مثلكم يوحىٰ إلى أنّما الهكم اله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه وويل من المشركين . (١)

فالله سبحانه وتعالى أثبت لمحمد أنه يوحيٰ إليه ، والوحي بالرسالة لايكون الا لرسول يبلغ عند الله ايضا فان الله سبحانه يطمئن الرسول ويقول له لاتقلق ولاتضجر حينما تجد جفوه من قومك بعد إيمانهم وتصديقهم فربما تجاوز الامر هذا الحد فألحدوا في بعض الايات وفي بعض الحوانب فلا ضير عليك فانما هي سنن الهية في الاقوام ، (فريق في الجنة وفريق في السعير) (٢)

وماحصل لك من القول والاعراض والصدود انما حصل للانبياء من قبلك وإنّما أنت رسول فلا تضجر (مايقال لك الا ماقد قيل للرسل من قبلك . إنّ ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم) (٣)

---

(١)سورة فصلت الاية : ٦

(٢) سورة الشورى الاية : ٧

(٣) سورة فصلت الاية : ٤٣.

* وللحديث عن اثبات رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم عدة جوانب،أهمهامايأتي :

أولا : إثباتها بالقرآن :

قال تعالى (تلك آيات الله نتلوها عليك وإنك لمن المرسلين)(١)

قال تعالى : (ومامحمد إلا رسول قدخلت من قبله الرسل) (٢)

قال تعالى : (يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم)(٣)

قال تعالى : (قل يا أيها الناس إنّي رسول الله إليكم جميعا)(٤)

قال تعالى : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) (٥)

قال تعالى: (وماكان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) (٦)

(محمد رسول الله .....) (٧)

(هوالذى بعث في الأميين رسولا منهم .....) (٨)

(إنّه لقول رسول كريم .....) (٩)

(إنّا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا)(١٠)

---

(١) سورة البقرة الاية : ٢٥٢

(٢) سورة ال عمران الاية : ١٤٤

(٣) سورة النساء الاية : ١٧٠

(٤) سورة الاعراف الاية : ١٥٨

(٥) سورة الاحزاب الاية : ٢١

(٦) سورة الاحزاب الاية : ٤٠

(٧) سورة الفتح الاية : ٢٩

(٨) سورة الجمعه الاية

(٩) سورة الحاقة الاية : ٤٠ (١٠) سورة المزمل الاية : ١٥.

ثانيا : إثباتها بالسنة :

(١) عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (فضلت على الأنبياء بست - أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلّت لي الغنائم ، وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا ، وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون) (١)

(٢) وقال صلى الله عليه وسلم :

(أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي ، كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل أحمر وأسود ، وأحلّت لي الغنائم ولم تحلّ لأحد قبلي ، وجعلت لي الأرض طيبة طهورا ومسجدا ، فأيّما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان . ونصرت بالرعب بين يدى مسيرة شهر وأعطيت الشفاعة) (٢)

(٣) وعن أبي أمامة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(فضلت بأربع . جعلت الارض لأمتي مسجدا وطهورا وأرسلت إلى الناس كافة ونصرت بالرعب من مسيرة شهر يسير بين يدى وأحلّت لي الغنائم) (٣)

---

(١) اخرجه مسلم ٣٧١/١ كتاب المساجد رقم ٥٢٣ والترمذى بلفظ ان الله فضلني ثم ذكر الحديث في كتاب السير . باب ماجاء في الغنيمة . ١٢٣/٤ رقم ١٥٥٣.

(٢) أخرجه البخاري كتاب التيمم ، ٤٣٦/١ رقم ٣٣٥ ومسلم في الموضع السابق حديث رقم ٥٢١.

(٣) أخرجه أحمد ٢٥٦/٥.

ثالثا : ظاهرة الوحي دليل على الرسالة :

* تعريف الوحي :

(١) في اللغة : قال ابن منظور : إعلام في خفاء ولذلك صار الالهام يسمى وحيا .

والوحي بمعنى الاشارة والكتابة والرسالةوالالهام والكلام الخفي وكل ما القيته إلى غيرك (١)

وقال الراغب الاصفهاني : أصل الوحي الاشارة السريعة (٢)

وقال الرازى : يقال : وَحَىٰ إليه الكلام يَحيبه وحيا ، وأُوحىٰ ايضا وهو انيكلمة بكلام يخفيه وَوَحَى وأَوحىٰ ايضا كتب وأُوحىٰ الله إلى أنبيائه وأُوحىٰ أشار قال الله تعالى :

(فأوحى إليهم أن سبحوا .....) (٣) والوحي : السرعة (٤)

وقال المقرّي : وقد غلب استعماله الوحي فيما يُلقىٰ إلى الانبياء من عند الله تعالى (٥)

---

(١) لسان العرب ـ ابن منظور ٠٣٧٩/١٥

(٢) المفردات في غريب القرآن ـ الراغب الاصفهاني ٠ ص ٠٥١٥

(٣) سورة مريم الاية : ١١

(٤) مختار الصحاح ـ الرازى ـ ٠٧١٣

(٥) المصباح المنير ـ المقرّي ـ ٠٨١٠/٢

والوحي بمعناه اللغوى يتناول :

أ ـ الالهام الفطري للانسان ، كالوحي إلى أُمّ موسى (وأوحينا إلى أمّ موسى ارضعيه) (١)

ب ـ والالهام الغريزى للحيوان ، كالوحي الي النحل ، وأوحي ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون (٢)

جـ ـ والاشارة السريعة على سبيل الرمز والايحاء ، كإيحاء زكريا فيما حكاه القرآن عنه ، فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا) (٣)

د ـ ووسوسة الشيطان وتزيينه الشر في نفس الانسان (وأن الشياطين ليوحون إلى أولياوءهم ليجادلوكم ... (٤)

هـ ـ وما يلقيه الله الى ملائكته من امر ليفعلوه (إذ يوحي ربك إلى الملائكة أنّي معكم فثبتوا الذين آمنوا ... (٥)

---

(١) سورة القصص الاية ٧

(٢) سورة النحل الاية ٦٨

(٣) سورة مريم الاية : ١١

(٤) سورة الانعام الاية : ١٢١

(٥) سورة الانعام الاية ١٢ انظر مباحث في علوم القران ـ مناع القطان ٣٢ ، ٣٣ .

(٢) في الشرع :

أ ـ عرفان يجده الشخص من نفسه، مع اليقين بأنه من قبل الله بواسطة أو بغيرواسطة ، والأول بصوت يتمثل لسمعه أو بغير صوته (١)

ب ـ إلقاء الله الكلام أو المعنى في نفس الرسول بخفاء وسرعة (٢)

جـ ـ كلام الله تعالى المنزّل على أنبيائه (٣)

* الوحي طابع الأنبياء جميعا :

إنّ الوحي ركن أساسي للنبوة ، وقد تميز به كل نبي عن غيره من الادميين فهو طابع النبوه المميز . وعنوانها الظاهر وجوهرها الأصيل .

فالله سبحانه وتعالى أوحى إلى انبيائه من آدم إلى محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

قال تعالى : (إنّا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبين من بعده وأوحينا الي ابراهيم وإسماعيل وإسحاقويعقوب والأسباط وعيسي وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود ز بورا) (٤)

---

(١) الوحي المحمدى ـ محمد رشيد رضا ٤٤ـ٤٥

(٢) نبوة محمد في القرآن ـ للدكتور حسن ضياء الدين عتر.

(٣) مباحث في علوم القرآن ـ مناع القطان ـ ٣٣

(٤) سورة النساء الاية : ١٦٣ .

* أصناف الوحي إلى الرسول :

يوحي الله إلى رسله بواسطة وبغير واسطة .

(١) بغير واسطة :

أ ـ منه الرؤيا الصالحة في المنام .

عن عائشة رضي الله عنهاقالت : أوّل ما بدأ به صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة في النوم فكان لايرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح(١)

وكان ذلك تهيئة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ينزل عليه الوحي يقظة ، وليس في القران شيء من هذا النوم لأنه نزل جميعه يقظه .

ب ـ ومنه الكلام الإلهي من وراء حجاب بدون واسطة ، يقظة .
وهو ثابت لموسى عليه السلام (ولماجاء موسى لميقاتنا وكلّمه ربه قال ربي أرني أنظر إليك) (٢)

وليس في القرآن شيء منه .

(٢) بواسطة : ولا تخلو كيفية وحي الملك إلى الرسول من إحدى حالتين :

أ ـ الحالة الأولى وهي أشدّ على الرسول ـ أن يأتيه مثل صلصلة الجرس والصوت القويّ . يثير عوامل الانتباه فتهيأ النفس بكل قواها لقبول أثره ، فإذا نزل الوحي بهذه الصورة على الرسول نزل عليه وهومستجمع القوى الادراكية لتلقيه وحفظه وفهمه ،وقديكون

---

(١) أخرجه البخارى في كتاب بدء الوحي ٢٢/١ رقم ٣
ومسلم في كتاب الايمان باب بدء الوحي برسول الله صلى الله عليه وسلم ١٣٩/١ رقم (١٦٠)

(٢) سورة الاعراف الاية : ١٤٣.

هذا الصوت حفيف أجنحة الملائكة المشار إليها في الحديث (إذا قضى الله لأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كالسلسلة على صفوان) (١)

وقد يكون صوت الملك نفسه في أول سماع الرسول له ..

ب ـ والحالة الثانية :

أن يتمثل له الملك رجلا ويأتيه في صورة بشر،وهذه الحالة أخف من سابقتها حيث يكون التناسب بين المتكلم والسامع،ويأنس رسول النبوة من رسول الوحي ويطمئن إليه اطمئنان الانسان لأخيه الانسان.

وكلتا الحالتين مذكور فيما ورد عن عائشه أم المؤمنين رضي الله عنها أن الحارث ابن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشد عليّ فيفصم عني وقد وعيت عنه ماقال . وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي مايقول .) (٢)

رابعا: دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم :

الدلائل جمع دليل وهو مايثبت نبوة النبي ويبرهن على صدقه دون تقيده بشروط معينه والدلائل تختلف عن المعجزات بأن المعجزة قصد بها التحدي بخلاف الدلائل،فإنما هي علامة فقط ولم يقصد بها التحدي فكل معجزة دليل،وعلامة على النبوة ولا عكس .

---

(١) اخرجه البخارى في كتاب بدء الوحي ١٨/١ رقم (٢)

(٢) انظر مباحث في علوم القرآن ـ مناع القطان ٣٧ ـ ٤٠ بتصرف .

وتنقسم دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم إلى قسمين:

(١) الدلائل الحسية :

وهي مايجابه الحسّ ويثير في النفس برهانا ملزما فمنها :

أ ـ أُمور خارجة عن ذاته صلى الله عليه وسلم : كمعجزة الاسراء ، وانشقاق القمر ، وتسليم الحجر عليه)وحنين الجذع ونبع الماء من بين أُصابعه حتى ارتوىٰ منه خلق كثير)واشباع الجمع الغفير بتكثير الطعام.

ب ـ أُمور كائنة في ذاته صلى الله عليه وسلم : كخاتم النبوة بين كتفيه.

جـ ـ صفاته وأُخلاقه صلى الله عليه وسلم التي فاقت في السموّ والعظمة أُخلاق جميع البشر المتقدّمين والمتأخرين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. ويكفيه شرفا أنّ الله تبارك وتعالى قد أشاد بنبل خصاله. فقال تعالى : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتّم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) (١)

وقال يخاطب رسوله (وإنّك لعلىٰ خلق عظيم) (٢)

(٢) الدلائل العقلية :

فإنّها تواجه العقل بكل مافيه من قوىٰ الادراك والاستبصار ... ويتلقاها كل انسان حسب قوة فهمه وعمق إدراكه. وهي أقسام :

---

(١) سورة التوبة الاية ١٢٨

(٢) سورة القلم الاية ٠٥

أ ـ أنه صلى الله عليه وسلم انماظهر من قبيلة ليسوا من أهل العلم ومن بلدة لم يكن فيها أحد من علماء بل كانت الجهالة غالبة عليهم فإذا نبت في هذه البيئة ثم بلغ في معرفة الله وصفاته وأفعاله .... هذا المبلغ العظيم الذى عجز جميع الأذكياء عن القرب منه فإنّ ذلك يحمل العاقل على الاقرار بأن هذا العلم الفذ لايتيسّر لأحد من البشر إلا بتعليم إلهي خاص قال تعالى:

(تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ماكنت تعلمها أنت ولاقومك من قبل هذا فاصبر. إنّ العاقبة للمتقين) (١)

ب ـ احتمل رسول الله صلى الله عليه وسلم في أداء الرسالة المتاعب الجمّة والمشاق الجسيمة فلم يبد منه فتور في عزيمته ولافي إصراره قصور . فلما حصلت له القوة وبنيت له الدولة لم يتغير عن نهجه الأوّل من زهد في الدنيا وعدل في الناس حتي لقي ربه .

ح ـ أصاب الجدب الناس فتعطّلت الزراعة وهلكت المواشي فجاءوا إليه بالشكوى ليسأل الله لهم فدعا الله وليس في السماء شيء من السحاب . فهطلت الأمطار بعد حين مرارا ، وظلت متواصلة أياما حتى خافوا منها الضرر والأذى . فجاءوا ، فدعا الله تعالى:
(اللهمّ حوالينا ولاعلينا اللهم على الجبال وبطون الأودية)
فأمسكت السماء واندفع البلاء....

---

(١) سورة هود الاية : ٤٩.

فلإن يجيب الله لبشر دعاءه في كل مناسبه وطلب ، على ذلك النمط ، وبتلك الوفرة لدليل على أنّه نال أكرم حظوة ينالها بشر من الله تعالى وهذا يدل على صدق نبوته .

د ـ بشّر الله ببعثته في التوراة والانجيل (١)

وقد نص القرآن على هذه البشارة في قوله تعالى : (... الذين يتّبعون الرسو ل النّبي الأُمّي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر) (٢)

هـ ـ إخباره صلى الله عليه وسلم عن الغيوب الماضية والمستقبلة مع أنّه أُمّي لايقرأ ولايكتب ولم يتلق من أحد من الناس علما .

وممّا أُخبر به من المغيبات مما يدل على نبوته صلى الله عليه وسلم مايأتي :

• ماروى ثوبان رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإنّ أُمّتي سيبلغ ملكها مازوي لها منها ...) (٣)

• وقال صلى الله عليه وسلم لعمّار رضي الله عنه :

(تقتلك الفئة الباغية)

---

(١) لاريب انه دليل نقلي وإن كان يفهم بالعقل .

(٢) سورة الاعراف الاية ١٥٧.

(٣) أُخرجه مسلم في كتاب الفتن ـ باب هلاك هذه الامة ٤/٢٢١٥ رقم ٢٨٨٩ والترمذي في كتاب الفتن باب ماجاء في سؤال الرسول ثلاثا لامته ٤/٤٧٢ رقم ٢١٧٦ وابو داود في كتاب الفتن والملاحم باب ذكر الفتن ودلائلها ٤/٩٧ رقم ٤٢٥٢.

فقتلهم علي رضي الله عنه يوم صفين ، وأخبر بفتح فارس ومصر وانفاق كنوز قيصر في سبيل الله تعالى وحصل كما أخبر .

و - وأنه صلى الله عليه وسلم لم يشرع قبل اظهار دعوى الرسالة والنبوة في البحث عن العلوم الالهيه ومسائل النبوة ولو عني بها يسيرا لحتمه العدو وتذرع بأنه أفنى عمره في التدبر والامعان لاستخلاص تلك العلوم ولكنهم لم يتفوهوا بمثل هذا ، مما يبرهن على تيقنهم من انصرافه عنها فهم واثقون أنه أمي لايقرأ ولا يكتب

قال تعالى : (قل لو شاء الله ماتلوته عليكم ولا أدراكم به ، فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون) (١)

فصريح العقل يشهد بأن هذا القرآن كلام الله أوحاه الى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم اثباتا لنبوته وبيانا لدين الاسلام .(٢)

خامسا : معجزات محمد صلى الله عليه وسلم :

المعجزة : هي الأمر الخارق للعادة المقرون بالتحدى ، السالم عن المعارضه .

ومعجزات محمد صلى الله عليه وسلم كثيرة ولعل أبرزها وأشهرها معجزة القرآن الكريم .

---

(١) سورة يونس الآية : ١٦

(٢) كتاب الأربعين في أصول الدين - الرازى - ٣٠٩ - ٣٢٢ بتصرف + نبوة محمد في القرآن . د/ حسن ضياء الدين عتر ٢٣٦ - ٢٤٥ بتصرف .

الاعجاز اللغوى ، والاعجاز العلمي ، والاعجاز التشريعي على مـــرّ الأيام والأزمان والقرآن تحدّىٰ به النبي صلى الله عليه وسلم العرب وقد عجزوا عن معارضته مع طول باعهم في الفصاحة والبلاغة، ومثل هذا لايكون إلا معجزا.

فقد ثبت أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم تحدىٰ العرب بالقرآن على ثلاث مراحل :

أ - تحداهم بالقرآن كلّه في أسلوب عام يتناولهم ويتناول غيرهم من الانس والجن تحديا يظهر على طاقتهم مجتمعين قوله تعالى :

(قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولوكان بعضهم لبعض ظهيرا) (١)

ب - ثم تحدّاهم بعشر سور منه في قوله تعالى : (أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثلـــه مفتريات ، وادعوا من استطعتم مـــن دون الله إن كنتم صادقين . فإن لم يستجيبوا لكم فاعلمـــوا أنّما أنزل بعلم الله .....) (٢)

ج - ثم تحدّاهم بسورة واحدة منه في قوله تعالى : (أم يقولـــون افتراه . قل فأتوا بسورة مثله ....) (٣).

وكرّر هذا التحدّي في قوله : (وإن كنتم في ريب مما نزّلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ....) (٤)

---

(١) سورة الاسراء الاية ٨٨

(٢) سورة هود الاية ١٣، ١٤

(٣) سورة يونس الاية ٣٨

(٤) سورة البقرة الاية ٢٣.

وعجز العرب عن معارضة القرآن مع توفر الدواعي . عجز للغة العربية في ريعان شبابها وعنفوان قوتها .

والاعجاز لسائر الامم على مر العصور ظل ولايزال في موقف التحدى شامخ الأنف ، فأسرار الكون التي يكشف عنها العلم الحديث ماهي الا مظاهر للحقائق العليا التي ينطوى عليها سر هذا الوجود في خالقه ومدبره . فصار القرآن بهذا معجزة للانسانية كافة . (١)

سادسا : أصول رسالة محمد صلى الله عليه وسلم كأصول رسالات سابقيه

لم تكن دعوة الرسول بديعة : في جنسها . فريدة في نوعها وجملة في محتواها .

فهي دعوة الى الايمان بالله وحده وعبادته وطاعته ونبذ تأليه غيره أو عباد ة سواه ، وعلى هذه الدعوة تتابع الرسل قبله يبلغون رسالة الله التى أوحى اليهم .

(انا أرسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذا وبيلا) (٢)

ونبي الله دعا الى مثل مادعا اليه الأنبياء السابقون كما ذكر الله عنهم بقوله :

(انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا ، ورسلا قد قصصناهم عليك ورسلا لم نقصصهم عليك وكلّم الله موسى تكليما .) (٣)

---

(١) انظر مباحث في علوم القرآن ـ مناع القطان ـ ٢٥٩ ، ٢٦٠ بتصرف

(٢) سورة المزمل الاية : ١٥ ، ١٦

(٣) سورة النساء الاية : ١٦٣ ، ١٦٤ . انظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ـ ابن تيميه ١١٧/٤ .

فليست بعثة محمد حادثة فريدة أو شاذّة قال تعالى :

(قل ماكنت بدعا من الرسل وما ادرى مايفعل بي ولابكم ان أتبع الا مايوحى إليّ وما أنا إلاّنذير مبين ...) (١)

سابعا: نبوة محمد صلى الله عليه وسلم مصدقة للانبياء الصادقين:

إنّ جميع رسالات الله ذات أصول واحدة في العقائد والمواعظ والاخلاق فلاتناقض فيها، وإنما هي تدعو الناس جميعا إلى الايمان بالله وحده والايمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتحضّ على فعل الخير وتنهى عن الشر وترغب في محامد الأخلاق .

وتنفّر عن المذموم منها، وتأمر بالاستسلام لأمر الله وشرعه في جميع الحركات والسكنات :

(إنّ الدين عند الله الاسلام ...) (٢)

فالدين بهذا المعنى الواحد لم يتبدّل ولم يتغيّر من عهد آدم إلى بعثة محمد صلى الله عليه وسلم .

وقال تعالى :(وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين) (٣)

ثامنا : تبشير الكتب السماوية ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم :

بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم في ظرف عالمي حالك حين بلغت الانسانية طور الرشد وهي ممرّغة بأوحال جاهلية تناهت حاجتها لمنقذ يجلو عنها ماعلق بها ويدفعها قوية فتية في درب النور ....

---

(١) سورة الاحقاف الاية : ٩

(٢) سورة ال عمران الاية :١٩

(٣) سورة يونس الاية : ٣٧ ـ للاستزاده انظر محمد في القرآن ـ د. حسين ضياء الدين عتر ـ ٢٨٩ ـ ٢٩٦.

فلم يكن مبعثه عليه الصلاة والسلام عجبا إلا للجهلة الذين وان على عقولهم من الوثنية صدأ كثيف والذين أحاطت بقلوبهم آفات دنيئة منعت تسرب النور اليها فصارت قلوبهم غلف الاتقبل مايدعوهم الرسول اليه . أمّا الذين عندهم اثارة من علم الكتب الاولى فكانوا ينتظرون بعثته استنادا إلى تبشير كتبهم المقدسة به .

ولن أتطرق في هذا البحث إلى التبشير بمحمد صلى الله عليه وسلم في كتبهم التي بين أيديهم سواءماكان من العهد القديم التوراة ـ أم العهد الجديد ـ الانجيل ـ بل سأقتصر على ماورد على لسان حال الكتب السماوية وهو مذكور في القرآن الكريم .

ـ بعد أن أنجى الله بني اسرائيل من بطش فرعون ، دعا رسوله موسى لمناجاته ... لكن السّامري ابتدع في غيبة موسى عجلا من الذهب ففُتن به بنو اسرائيل وعبدوه إلٰها من دون الله عز وجل ولما رجع موسى إليهم شعروا بالذنب وانزلاقهم في الوثنية ، فندموا واستغفروا (١)

واختار موسى من أعلام قومه سبعين رجلا وانطلق بهم إلى الطور تنفيذا لامر الله ليقوموا هناك تائبين إلى الله معتذرين إليه من عبادة العجل . فزلزل الله بهم الارض ولما رأى موسى تلك الرجفة توصل إلى ربه أن يحفظهم فإنه لوشاء إهلاكهم لأهلكهم من قبل بذنوبهم السالفات .، قال تعالى : (واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال رب لوشئت أهلكتهم من قبل وإياي .
أتهلكنا بما فعل السفهاء منّا إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وأنت خير الغافرين.واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة إنّا هد نا إليك ..) (٢)

---

(١) انظر سورة الاعراف الاية ١٤٢ ـ ١٤٥.

(٢) سورة الاعراف الاية : ١٥٥ ـ ١٥٦.

فما غمرت موسي عليه السلام موجات الاضطراب،وداخله القلق الشديد على قومه ، أشفق عليهم من سطوة غضب الله ، وتوجه إليه بذلك الدعاء فسكّن الله روع رسوله موسى وأجابه بأسلوب عجيبوطريف بديع ...

(قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء ....) (١)

فان عذابي ليس خاصابقومك ولامتعيّنا عليهم)وإن رحمتي عامة شاملة اتسعت لكل موءمن وكافر،وبر وفاجر .

(فسأكتبها للذين يتّقون،ويأتون الزكاة والذين هم بآياتنايوءمنون. الذين يتّبعون الرسول النبي الأُميّ الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروفوينهاهم عن المنكر ويحلّ لهم الطيبات ويحرّم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم. فالذين آمنوابه وعزّروه واتبعوا النور الذي أُنزل معه أولئك هم المفلحون . قل يا أيها الناس إنّي رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلاهو يحي ويميت .فآمنوا بالله ورسوله النبي الأُميّ الذي يوءمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون) (٢)

فقد لفت الله اهتمام بني اسرائيل إلى الذين يوءمنونبرسوله الأُميّ،وأشاد بصفاتهم استنهاضا لهم بني اسرائيل الى التحلّي بها، وتعريفا لهم بقو م الرسول وبشّرهم ببعثه وأعلمهم بصفاته وحضهم على الايمان بخاتم المرسلين وتعظيمه ومناصرته.

---

(١) سورة الاعراف الاية : ١٥٦

(٢) سورة الاعراف الاية : ١٥٦ – ١٥٨

وقال تعالى (وإذقال عيسى ابن مريم يابني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لمابين يديّ من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمدفلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الاسلام والله لايهدي القوم الظالمين) (١)

* المسألة الثانية :

اثبات ان القرآن تنزيل من رب العالمين :

تظهر هذه الحقيقة واضحة وجلية في صدر سورة فصلت حيث يقول الله تعالى (حم . تنزيل من الرحمن الرحيم. كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون) (٢)

وإثبات أن القرآن منزل من عند الله سبحانه وردت فيه آيات كثيرة جدا ولعلّ من أبرزها : قال تعالى :

(وإنه لتنزيل ربّ العالمين) (٣)

(وقال تعالى : (تنزيل العزيز الرحيم) (٤)

وقال تعالى : (تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم) (٥)

---

(١) سورة الصف الاية : ٦ ، ٧ ـ للاستزاده انظر محمد في القران د. حسن ضياء الدين عتر ـ ٢٧٠ ـ ٣٣٦.

(٢) سورة فصلت الاية : ١ ، ٣

(٣) سورة الشعراء الاية : ١٩٢

(٤) سورة يس الاية : ٥

(٥) سورة الزمر الاية : ١

فان مصدر القرآن هو الله سبحانه وتعالى ، فهو المتكلم به كلاما حقيقيا يليق بجلاله وعظمته . فليس القرآن من جبريل ولامن محمد عليه السلام بل هما مبلّغان. فجبريل يبلّغ محمدا كلام الله، ومحمد يبلغ الناس كلام الله . فدورهما ينحصر في دور التبليغ والايصال والله سبحانه بيّن جزاء من يتقوّل عليه أنّ له العذاب الشديد في الدنيا والآخرة ولو كان نبيا رسولا بل ولو كان أفضل الخلق أجمعين .

قال تعالى : (ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين وإنه لتذكرة للمتقين) (١)

= فالقران الكريم نزل جملة واحدة إلى بيت العزّة من السماء الدنيا تعظيما لشأنه عند الملائكة ثم نزل بعد ذلك منجما على رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم في ثلاث وعشرين سنه حسب الوقائع والأحداث منذ بعثته إلى أن توفي عليه الصلاة والسلام .

قال تعالى : (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) (٢)

وقال تعالى : (إنّا أنزلناه في ليلة القدر) (٣)

وقال تعالى : (إنّا أنزلناه في ليلة مباركة) (٤)

ولا تعارض بين الآيات فالليلة المباركة هي ليلة القدر وهي ليلة من شهر رمضان المبارك .

---

(١) سورة الحاقة الاية : ٤٤ ـ ٤٨

(٢) سورة البقرة الاية : ١٨٤

(٣) سورة القدر الاية : ١

(٤) سورة الدخان الاية : ٣.

= حكمة نزول القرآن منجما:

(١) تثبيت فؤاد الرسول صلى الله عليه وسلم :

قال تعالى : (وقال الذين كفروا لولا نزّل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا) (١)

فكلما اشتدّ ألم الرسول صلى الله عليه وسلم لتكذيب قومه وداخله الحزن لأذاهم نزل القران دعما وتسلية له ، يهدّد المشركين بأن الله يعلم أحوالهم وسيجازيهم على ماكان منهم.

(٢) التحدّي والاعجاز:

إنّ المشركين تمادوا في غيهم وبالغوا في عتوّهم . وكانوا يسألون أسئلة تعجيز وتحد ، يمتحنون بها رسول الله صلى الله عليه وسلم في نبوته. ومن ذلك مايذكره القرآن الكريم عنهم :

قال تعالى (يسألونك عن الساعة)(٢)وغير ذلك من الاسئلة التعجيزية.

ولكن الحق سبحانه يتحداهم في كل موطن يحاولون فيه تعجيز الرسول فإن القرآن تحدى قريشاً ان تأتي بمثل القرآن أو بعشر سور أو بسورة ، وعجزوا عن ذلك فكلما أُحدثوا فتنة وتعجيزا للرسول ، أنزل الله سبحانه آية تدفع باطلهم وتبين الحق المبين .

(٣) تيسير حفظه وفهمه :

لقد نزل القرآن الكريم على أُمة أميّة لاتقرأ ولا تكتب ولو نزل جملة واحدة لما استطاعت أن تتعلّمه وتتفهمَ ماجاء فيه فنزل منجما تيسيرا لكي يحفظ الحفظة ويفهم الفهمة.

---

(١) سورة الفرقان الاية : ٣٢. (٢) سورة النازعات الاية : ٤٢.

قال تعالى :

(هو الذى بعث في الأُميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة وإن كانوامن قبل لفي ضلال مبين) (١)

---

(١) سورة الجمعة الاية : ٢.

(٤) مسايرة الحوادث والتدرّج في التشريع :

ومن الأمثلة : التشريع في تحريم الخمر .

قال تعالى : (ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) (١)

وهذا في مقام الامتنان بنعمته سبحانه .

ثم نزل قوله تعالى : (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما) (٢)

ثم نزل قوله تعالى : (يأيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى .....) (٣)

ثم نزل قوله تعالى : (يأ أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) (٤)

ويوضح هذه الحكمة ماروته عائشه رضي الله عنها قالت: إنما نزل أول مانزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى اذا ثاب الناس الى الاسلام نزل الحلال والحرام . ولو نزل أول شيء لاتشربوا الخمر لقالوا : لاندع الخمر أبدا ، ولو نزل لا تزنوا ، لقالوا لا ندع الزنا أبدا) (٥)

---

(١) سورة النحل الاية : ٦٧

(٢) سورة البقرة الاية : ٢١٩

(٣) سورة النساء الاية : ٤٣

(٤) سورة المائدة الاية : ٩٠

(٥) اخرجه البخارى في كتاب فضائل القرآن ، باب : تأليف القرآن ٣٩/٩رقم ٠٤٩٩٣

٥ـ الدلالة القاطعة على أن القرآن الكريم تنزيل من حكيم حميد :

ان هذا القرآن الذى نزل منجما على رسول الله في ثلاث وعشرين عاما تنزل الاية او الايات على فترات من الزمن يقرؤه الانسان ويتلوه سورة فيجده محكم النسج ، دقيق السبك مترابط المعاني ، رصين الاسلوب متناسق الايات والسور . كأنه عقد فريد نظمت حباته بما لم يعهد له مثيل في كلام البشر .

قال تعالى : (كتاب فصلت آياته ثم فصلت من حكيم خبير) (١) ولو كان هذا القرآن من كلام البشر قيل في مناسبات متعددة ووقائع متتالية وأحداث متعاقبة . لوقع فيه التفكك والانفصام .

قال تعالى : (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)(٢)

---

(١) سورة هود الاية : (١)

(٢) سورة النساء الاية : (٨٢)

الفصل الرابع :

(سمات الداعية في السوره ويشتمل على تسعة مباحث)

* المبحث الاول : الايمان بالله تعالى
* المبحث الثاني : العمل الصالح
* المبحث الثالث : التقوى
* المبحث الرابع : الاستقامة
* المبحث الخامس : القيام بالدعوة
* المبحث السادس : الاستعلاء والاعتزاز والانتماء
* المبحث السابع : مقابلة السيئة بالحسنة
* المبحث الثامن : الصبر
* المبحث التاسع : الاستعاذه بالله من الشيطان الرجيم.

* المبحث الأول :

الايمان بالله تعالى

= الايمان بالله تعالى :

نتطالعنا سورة فصلت بهذه الصفة على أساس أنّها صفة أساسية وضرورية للعبد أيّاكان وللداعية بالاخص ، فالايمان بالله هو أساس كل شيء وهو البوابة الرئيسية للدخول في دين الله .

قال تعالى :

(إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير منون)(١)

وإن الاتصاف بالايمان والتحلي به ينجي من العذاب (ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتّقون) (٢)

فما قيمة دعوة تتبني ولا يكون ذلك المتبني أو الداعية لها موءمنا بها .....

ان الداعية يدعو الناس الى الله . ومعناه : انه يدعوهم ويسوقهم الى سلوك الطريق الموصل اليه سبحانه . ذلك الطريق المعبد الذى سلكه الانبياء المرسلون والصالحون من الخلق .

فلابد وأن يكون الداعية موءمنا بالله ايمانا عميقا ، يوءثر في نفسه ويهزّ وجدانه . ويدفعه إلى العمل والعطاء لهذا الدين والدعوة إلى سلوك طريق الصالحين.

ولعل من أبرز أهداف الداعية : إخراج الناس من عبادة غير الله إلى عبادة الله وحده .

فمن البد هي أن يكون أيّ داعية في أيّ مجال وإلى أيّ مبدأ موءمنا إيمانا قويا بما يدعو إليه . ولذلك نرى من يدعو الى الفكر الشيوعي

---

(١) سورة فصلت الاية : ٨ (٢) سورة فصلت الاية : ٠١٨.

موءمنا بمبادىء فكره مقدسا لزعمائه وساسته وقادة حزبه ، بل ان مبادىء ذلك الفكر لتتمثل به فهو يتشربها ويعايشها ويكيّف حياته على ضوئها .

ولو لم يكن الداعية الى الله صورة عما يدعو له لما تحققت له استجابة من أحد لان سلوكه يخالف قوله ولانه يتقمّص شخصية مزدوجة .

فان المؤمن كلما قوي إيمانه بمبادئه وعايشها حياة عملية ازداد نشاطه وقويت دعوته ، وكان لها أثر كبير في النفوس

ومهمايكن من أمر ، فإننا نرى أنّ الايمان إنماهو :

نور إلهي يستقر في القلب . فتنشرح له النفس ، يظهر أثره على اللسان بما يتناسب مع هذه العقيدة . بأقوال أتت بها الشريعة الغراء كما يظهر اثره على الجوارح والاركان بأعمال توافق مقتضى الشرع .

فينقاد الموءمن الى حيث امر الله من غير أن يجد أيّ تهاون أو تراخ في التنفيذ ويمتنع عن محارم الله من غير تردّد .

فالايمان بهذا المعنى هو صياغة الانسان ذ ي العقل الناضج ... والفكر الثاقب والعزيمة الفولاذية والارادة التي لاتردد فيها .وصياغة الانسان الشجاع الذى لاينهزم أمام الموت بل إنّ الموت لينهزم أمامه (١)

ومن المعلوم يقينا ان الايمان بالله الواحد الاحد حين يتغلغل في النفوس وتخالط بشاشته القلوب هو اول سلاح يتسلح به الموءمن الداعية في مواجهة صراع الحياة وفي مجابهة مغريات الدنيا فبدون الايمان يبطل كل سلاح ويبطل كل إعداد وتبطل كل ذخيرة .

---

(١) الايمان بالله ـ محمد حسن الحمصي . ٨٨ ، ٨٩ .

واعني بالايمان ان يعتقد الداعية من قرارة وجدانه أنّ الآجال بيد الله وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأنّما أخطأه لم يكن ليصيبه وان الامة لو اجتمعت على ان ينفعوه بشيء لم ينفعوه الا بشـــيء قد كتبه الله له وكذا العكس ....

فبهذا الاعتقاد وبهذا الشعور يتحرز المؤمن من الخوف والجبن والجزع ويتحلى بالصبر والشجاعة والاقدام ويهتف بما هتف به علـــي ابن ابي طالب رضي الله عنه حين كان يجابه الاعداء :

أي يومي من الموت أفرّ	يوم لايقدر أم يوم قدر
يوم لايقدر لا أرهبه	ومن المقدور لاينجو الحذر
أقول لها وقد طارت شعاعا	من الأبطال ويحك لن تراعي
فانك لو سألت بقاء يوم	على الاجل الذي لك لن تطاعي
فصبرا في مجال الموت صبر	فما نيل الخلود بمستطاع

واعني بالايمان ايضا :

ان يعتقد المؤمن من سويداء قلبه ان الارزاق بيد الله فهو بهـــذا يتحرر من الحرص الزائد على الدنيا والالحاح في طلبها ويتحرر مـــن الشح النفسي والتقتير المزرى والامساك الشائن ويتحلى بالكرم والايثار والعطاء بل يرى السعادة في القناعة .

واعني بالايمان ايضا:

ان يعتقد المؤمن ان الله يراه ويسمعه ويعلم سره ونجواه ويعلـــم خائنة الاعين وماتخفي الصدور فبهذا الاعتقاد يتحرر من ربقة الهوى ونزعات النفس الامارة بالسوء وهمزات الشياطين وفتنة المال والنساء

ويتحلى بمراقبة الله والاخلاص له والاستعانه به والتسليم لجنابه.(١)

وصفة الايمان التي نطالب الداعية بها لابد وان تشتمل على ثلاثة أمور :-

(١) ان يكون الايمان عميقا

(٢) ان يكون الايمان نامياً

(٣) ان يكون الايمان واعيا

ولقد كان ايمان جل الصحابة رضوان عليه عليهم ايمانا عميقا فقد دخلوا في الاسلام عن اقتناع وقبول .

وحينما تجاوزوا هذه المرحلة ودخل الايمان في نفوسهم وخامر شغاف قلوبهم غيّر من نفوسهم وحياتهم تغييرا جذريا.

كما حصل ذلك مع ،
عمر بن الخطاب ، وحمزة بن عبد المطلب وسعد بن ابي وقاص والطفيل بن عمرو الدوسي ومصعب بن عمير وسلمان الفارسي وبلال بن رباح وصهيب الرومي وغيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم.

فقصص اسلامهم لتنبوء عن الدقة في البحث عن الحقيقة ، والعمل بعد ذلك من أجلها .

ولقد كان بعضهم يقول لبعض:اجلس بنا نوءمن ساعة ....
وبعضهم يقول كيفك وربك البارحه ..... ويقصد به مافعلت في قيام الليل ليلتك البارحة.. كل هذا من باب تنمية الايمان. (٢)

---

(١) صفات الداعية النفسيه ـ عبد الله علوان . ص ٨ ـ ١١ بتصرف

(٢) الكافيه الشافيه ـ ابن القيم ـ ٢/١٤١.

ولقد كان ايمانهم واعيا للفكرة التي انتموا اليها والتي يدعون اليها . فليس ايمانهم ايمان الدراويش او العوام ... أو المقلدين .. بل كان ايمانا واعيا دقيقا.

ومطلوب من الداعية أن يحتوي إيمانه هذه العناصر الثلاثة حتي يغيّر إيمانه من حياته،ومن نفسيته وبل وحتى يغير و يطوّر من دعوته (١)

والايمان الذى نعنيه هو ماكان مثلث الاركان :

من قول اللسان وعقد القلب وعمل الجوارح .. وهذا هو اعتقاد سلف هذه الامة من الصحابة والتابعين.

قال الامام الآجرّى :

فالذى عليه علماء المسلمين : ان الايمان واجب على جميع الخلق وهو تصديق القلب واقراربـاللسان وعمل بـالجوارح. والادلة على ذلك كثيرة منها:

قول صلى الله عليه وسلم : (الايمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول لاإله الا الله،وأدناها: إماطة الأذىٰ عن الطريق.والحياء شعبة من الايمان) (٢)

فجعل القول والعمل والتصديق او عمل القلب من الايمان .ا

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : (لاينفع قول الا بعمل . ولا عمل الا بقو ل.ولا قول وعمل إلا بنيّة.ولا نيّة الا بموافقة السنّة) (٣)

---

(١) من صفات الداعية : محمد الصباغ – ١٣ – ٢٠بتصرف

(٢) اخرجه البخارى في كتاب الايمان – باب امور الايمان ١/٥١ رقم٩ ومسلم في كتاب الايمانبـابـبيان عدد شعب الايمان ١/٦٣رقم٣٥.

(٣) الشريعة – الاجرى / ١١٩ – ١٣١ بتصرف

وقال الشيخ : حافظ الحكمي :

اعلم بأن الدين قول وعمل ..... فاحفظه وافهم ماعليه اذا اشتمل

فالايمان يشتمل علي :

(١) قول القلب وهو تصديقه وايقانه قال تعالى :

(إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) (١)

صدقوا ثم لم يشكّوا ....

(٢) قول اللسان وهو النطق بالشهادتين والاقرار بلوازمها.

قال تعالى :

(وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به. إنّه الحق ....) (٢)

وقال تعالى : (إنّ الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلاخوف عليهم ولاهم يحزنون) (٣)

(٣) عمل القلب وهو النية، والاخلاص والمحبة، والانقياد، والاقبال على الله عز وجل والتوكل عليه .

ولوازم ذلك وتوابعه قال تعالى:

(الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا ....) (٤)

---

(١) سورة الحجرات : الاية ١٥

(٢) سورة القصص الاية : ٥٣

(٣) سورة الاحقاف الاية :١٣.

(٤) سورة الانفال الاية : ٢

وقال تعالى :

(والذين آمنوا أشدّ حبا لله) (١)

(٤) عمل اللسان والجوارح ،فعمل اللسان مالا يوءدى الا به كتلاوة القران وسائر الافكار وعمل الجوارح مالا يوءدى الا بها مثل القيام والركوع والسجود والمشي في مرضاة الله . كنقل الخطي الى المساجد والى الحج والى الجهاد في سبيل الله .

قال تعالى :

(إنّ الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا ممّا رزقناهم سرّا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ..) (٢)

وقال تعالى :

(واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك لامبدّل لكلماته ...) (٣)

وقال تعالى :

(يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون . وجاهدوا في الله حق جهاده) (٤)

قال تعالى :

(أمّن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه) (٥)

---

(١) سورة البقرة الاية : ١٦٥

(٢) سورة فاطر الاية : ٢٩

(٣) سورة الكهف الاية : ٢٧ (٤) سورة الحج الاية : ٧٧ ،٧٨.

(٥) سورة المزمل الاية : ٩.

قال تعالى :

(إن الله اشترىٰ من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن . ومن أوفىٰ بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم . التائبون العابدون الحامدون .. السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشّر المؤمنين .) (١)

وقال ابن القيم رحمه الله في نونيته :

واشهد عليهم أنّ إيمان الورىٰ

قول وفعل ثم عقد جنان

ويزيد بالطاعات قطعا هكذا

بالضد يمس وهو ذو نقصان

والله ما إيمان عاصينا كإيمان الأمين منزل القرآن

كلا ولا إيمان مؤمننا كإيمان الرسول معلم الايمان (٢)

وقال السفاريني رحمه الله :

إيماننا قول وقصد وعمل

تزيده التقوى وينقص بالزلل (٣)

---

(١) سورة التوبة الاية : ١١١ ، ١١٢ انظر معارج القبول ـ حافظ الحكمي ١٧/٢ ـ ٢١ بتصرف .

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية ـ لابن القيم ـ شرح احمد بن عيسي ١٣٣/٢.

(٣) لوامع الانوار البهية ـ السفاريني ٤٠٣/١.

والايمان يزيد وينقص ، يزيد بالطاعات ، بالأعمال الصالحة ، وينقص بالمعاصي ، بالأعمال السيئة .

وهذا هو معتقد أهل السنة والجماعة ...

فالايمان في العبد كالموءشر في عدّاد السيارة ... فتارة يتّجه إلى اليمين إذا ازدادت سرعة السيارة،وتارة يتّجه إلى اليسار إذا قلّت نسبة سرعة السيارة .... وهكذا - الايمان فيرتفع أحيانا حينما يقرب العبد من الطاعة ويكثر من فعلها .. فتصفو نفسه وتصلح حاله وتزكو سريرته ويصل إلى المراتب العالية ، ويهبط أحيانا إذا قصرت نفسه عن العمل وتخاذلت ، أو وقعت فيما حرّم الله عليها .

ويجب على الداعية أن يوءمن بصدق فكرته التي يدعو إليها كيف لا وهو يدعو الناس إلى الله تعالى،بالاستمساك بشرعه والاعتصام بحبله .

وليعلم الداعية أنّه على الطريق الصحيح الذي يجب عليه التضحية في سبيله والعطاء من أجله، فإنه بذلك يقوى وينشط ، وكلما فتر أو تقاعس حينا من الزمن تذكّر هذه الحقيقة العظيمة التي يدعو إليها وتذكّر الأجر العظيم الذي سيحصل له عندمايقوم بالدعوة..

قال صلى الله عليه وسلم :

(من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لاينقص من أجورهم شيئا) (١)

---

(١) رواه مسلم في كتاب العلم ، باب من سن سنة حسنه أو سيئة ٤ /٢٠٦٠ رقم ٢٦٧٤. والترمذي في كتاب العلم ، باب من جاء فيمن دعا الى الهدى فاتبع او الى ضلاله. ٥/٤٣رقم ٢٦٧٤ و ٢٦٧٥ وابو داود في كتاب السنة باب لزوم السنة ٤/٢٠١ رقم ٤٦٠٩

وقال صلى الله عليه وسلم :

(لئن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم)[1]

---

(١) رواه البخارى في كتاب فضائل الصحابة باب مناقب علي بن أبي طالب ٧٠/٧ رقم ٠٣٧٠١ ومسلم في كتاب فضائل الصحابة باب فضائل علي بن ابي طالب ٠١٨٧/٤ رقم ٠٢٤٠٦

* المبحث الثاني :

العمل الصالـــــــح

= العمل الصالـــح :

ذكرت هذه السمة بارزة في سورة فصلت بقوله تعالى :

(إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون) (١)

وكثيرا مايقرن القرآن الكريم في آياته بين الايمان والعمل الصالح ويربط بينهما ،الأمر الذي يدلّ على أنّ العمل الصالح لابدّ منه حتـــى ينجو المرء بين يدي ربّه .

ومن هذه الآيات مايأتي :

قال تعالى : (إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصـــلاة وآتوا الزكاة .لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون) (٢)

قال تعالى: (فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون) (٣)

قال تعالى : (إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهـــم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم) (٤)

قال تعالى : (إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهـم أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) (٥)

قال تعالى : (إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنّا لانضيع أجـــر من أحسن عملا) (٦)

---

(١) سورة فصلت الاية : ٨

(٢) سورة البقرة الاية : ٢٧٧

(٣) سورة الانعام الاية : ٤٨

(٤) سورة يونس الاية : ٩

(٥) سورة هود الاية : ٢٣

(٦) سورة الكهف الاية : ٣٠

قال تعالى : (إنّ الذين آمنوا وعملو االصالحات كانت لهم جنـــــات الفردوس نزلا ٠٠٠٠) (١)

قال تعالى : (إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودّا ٠٠٠) (٢)

قال تعالى : (إنّ الذين آمنوا وعملو ا الصالحات لهم جنّات النعيم) (٣٠)

قال تعالى : (إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجـــري من تحتها الأنهار ذلك الفوزالكبير) (٤)

قال تعالى : (إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البريه) (٥)

قال تعالى : (إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنّـــة هم فيها خالدون ٠) (٦)

وهذه الصفة من الصفات الضرورية اللازمةبالنسبة للداعية إلى الله تعالى لأنّه كلما ازداد عمله الصالح قوي إيمانه وكان هـــــذا دافعا له على العطاء .

---

(١) سورة الكهف الاية : ١٠٨

(٢) سورة مريم الاية : ٩٦

(٣) سورة لقمان الاية : ٨

(٤) سورة البروج الاية : ١١

(٥) سورة البينه الاية : ٧

(٦) سورة البقرة الاية : ٨٢

ومفهوم العمل الصالح مفهوم واسع .. يشتمل على الاعمال الواجبة مثل اقامة الصلاة وايتاء الزكاة وصيام شهر رمضان وحج بيت الله الحرام وغيرها من الشعائر التعبدية العملية الاساسية .

ويشتمل ايضا على قيام الداعية بجزء من الاعمال المستحبة المسنونة وهي ما اذا فعلها أثيب عليها واذا ماتركها لايعاقب عليها.

فقد ورد في الحديث القدسي :

(وما تقرب الي عبدى بأفضل مما افترضت عليه ولايزل عبدى يتقرب الي بالنوافل حتي احبه) (١)

مثل المحافظة على الصلاة النافلة ، من السنن الرواتب .. وركعتي الضحى وتحية المسجد والوتر وغيرها والمحافظة على صيام النفل كصيام الاثنين والخميس . وستة ايام من شوال وصيام ايام البيض وصيام شهر الله المحرم وغيرها .

ومن الأعمال المسنونة :الاكثار من الصدقة،والانفاق في سبيل الله تعالى،ومن الأعمال المسنونة ايضا:تكرار الحج والعمرة .

وهذا باب واسع ولعلي اقتصر في هذا الجانب على عمل واحد من الاعمال الصالحة ألا وهو قيام الليل واثره على الداعية في دعوته .

فقيام الليل وإحياؤه هو دأب الصالحين والدعاة،وسلف هذه الأمة من الربانيين ..

---

(١) اخرجه البخارى في كتاب الرقاق،باب التواضع ١١/٣٤٠ رقم ٦٥٠٢

قال تعالى : (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا وممّا رزقناهم ينفقون) (١)

قال ابن كثير رحمه الله :

يعني بذلك قيام الليل ،وترك النوم والاضطجاع على الفرش الوطئية . فهؤلاء يجمعون بين فعل القربات الواجبة والمسنونة ، ومقدم هؤلاء وسيدهم وفخرهم في الدنيا والاخرة رسول الله صلى الله عليه وسلم . كما قال عبد الله بن رواحة :

وفينا رسول الله يتلو كتابه
إذا انشقّ معروف من الصبح ساطع
أرانا الهدى بعد العمي فقلوبنا
به موقنات أن ماقل واقع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه
إذا استثقلت بالمشركين المضاجع (٢)

وعن معاذبن جبل رضي الله عنه قال :

كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فأصبحت يوما قريبا منه ونحن نسير ،فقلت يانبي الله : أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النّار قال : لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير إلا على من يسره الله عليه ، تعبد الله ولاتشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتوءتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ثم قال : ألا أ دلك على أبواب الخير ؟

---

(١) سورة السجدة : الاية ١٦

(٢) مسند الامام احمد ٤٥١/٣ ط المكتب الاسلامي ببيروت

الصوم جنة ، والصدقة تطفيء الخطيئة وصلاة الرجل في جوف الليل ثم قرأ: (تتجافى جنوبهم عن المضاجع)حتي بلغ (جزاء بما كانوا يعملون)

ثم قال : ألا أخبرك برأس الامر وعموده وذروة سنامه ؟

فقلت : بلي يارسول الله : فقال : رأس الامر الاسلام .. وعموده الصلاة ، وذورة سنامه الجهاد في سبيل الله. .....) الحديث (١)

وقال الحسن البصرى : لم أجد من العبادة شيئا اشدّ من الصلاة في جوف الليل ، فقيل له : مابال المتهجدين أحسن الناس وجوها؟ فقال : لأنّهم خلوا بالرحمٰن فألبسهم من نوره.

* ولعل من أبرز الأسباب الميسّرة لقيام الليل مايأتي :

أنّ قيام الليل صعب الا على من وفق للقيام بشروطه الميسره له . فمن الأسباب ظاهر ومنها باطن .

- فأمّا الظاهر ، فأن لايكثر الأكل)ولا يتعب نفسه بالنّهار بالأعمال الشّاقة.وأن لايترك القيلوله بالنهار لأنّها تعين على قيام الليل وأن يتجنب الاوزار ...

- وأمّا الميسرات الباطنة:

فمنها : سلامة القلب للمسلمين وخلوه من البدع واعراضه عن فضول الدنيا ومنها خوف غالب يلزم القلب مع قصر الامل ..

---

(١) اخرجه الترمذى في كتاب الايمان باب ماجاء في حرمة الصلاة ١١/٥ رقم ٢٦١٦ واحمد في المسند ٢٣١/٥ وابن ماجه في كتاب الفتن باب كشف اللسان في الفتنة ١٣١٤/٢ رقم٣٩٧٣- انظر تفسير القرآ ن العظيم لابن كثير ٤٥٩/٣.

ومنها ان يعرف فضل قيام الليل وان يتذكر ثواب هذا القيام وان ، يعيش في صحبة الصالحين العاملين للصالحات .

فان الانسان ينشط للعمل اذا صاحب اهل النشاط في العمل ، وعدوى الخير تسرى .

ومن اشرف البواعث على ذلك الحب لله تعالى وقوة الايمان بأنه اذا قام يناجي ربه ،وانه حاضره ومشاهده فتحمله المناجاة على طول القيام .

قال ابو سليمان رحمه الله :

اهل الليل في ليلهم ألذّ من أهل اللهو في لهوهم .ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا .

وقال صلى الله عليه وسلم : (إنّ في الليل لساعة لايوافقها عبد مسلم ،يسأ ل الله تعالى خيرا من أمر الدنيا والآخرة إلا أتاه إياه وذلك كل ليلة) (١)

والاعمال الصالحة من عبادات وطاعات غذاء روحي للانسان فينبغي المداومة عليها .

فاذا اعتاد العبد طاعة من الطاعات فليستمرّ عليها ليدوم غذاء روحه الذى به حياتها .

---

(١) روا مسلم في كتاب صلاة المسافرين باب في الليل ساعة يستجاب فيها الدعاء ٥٢١/١ رقم ٧٥٧ انظر مختصر منهاج القاصدين ابن قدامه ص ٧٠ ، ٧١ بتصرف .

لهذا أمر الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالمداومة على العبادة : فقال :

(واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) (١)

وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أحبّ الدين إليه ماداوم صاحبه عليه (٢)

وفي الحديث من نام عنحزبه من الليل أو عن شيء منه فقرأه مابين الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنماقرأه من الليل . (٣)

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال :

قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياعبد الله لاتكن مثل فلان كان يقوم من الليل فترك قيام الليل (٤)

---

(١) سورة الحجر الاية : ٩٩

(٢) اخرجه البخارى في كتاب الايمان باب حب الدين الى الله أدومه ١٠١/١ رقم ٤٣ ومسلم في كتاب صلاة المسافرين باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل ٥٤٠/١ رقم ٠٧٨٢

(٣) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه او مرض ٥١٥/١ رقم ٠٧٤٧

(٤) رواه البخارى في كتاب التهجد باب مايكره من ترك قيام الليل ٣٧/٣ رقم ٠١١٥٢ ومسلم في كتاب الصيام باب النهي عن صوم الدهر ٨١٣/٢ رقم ٠١١٥٩ انظر العمل الصالح احمد عز الدين البيانوني ص ٥٨ ـ ٦٠ بتصرف .

* المبحث الثالـــث :

التقـــــــــوى

= التقـــوى:
========

تبرز سورة فصلت : أنّ الداعية إذا أنذر قومه وقام بما أوحبه الله عليه من الدعوة ، خرج من التبعة ولاسيما اذا اتصف بالتقوى ، فانه لايصاحب القوم على معصية أو جريمه ، وهكذا كان أنبياء الله ورسله عليهم السلام .

يظهر هذا واضحا وجليا مع صالح عليه السلام حينما أنذر قومه ودعاهم إلى الهدى ، ولكنهم استحبوا العمى وهو الكفر على الهدى وهو الايمان : اخذتهم صاعقة العذاب الهون. بسبب جريمتهم وهي الكفر بالله .

كيف لا وقد قامت عليهم الحجة وظهرت لهم معجزة صالح عليه السلام ولكنهم كفروا ولم يأبهوا لها بل لقد عقروا الناقة التي كانت معجزة لهم وفيها من الامور ما أدهشهم،ومع ذلك لم يستجيبوا فنزل بهم عذاب الله الأليم ، وقد نجى الله صالحا ومن معه بسبب تقواهم له سبحانه .

(وأما ثمود فهديناهم باستحبّوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بماكانوايكسبون . ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) (١)

* تعريف التقوى :

والتقوى اسم ، وتاؤها بدل من الواو ، والواو بدل من الياء ، فأصلها وقي (٢)

(١) والتقوى هي مراقبة الله سبحانه ومحبته والخوف من خشيته وفعل

---

(١) سورة فصلت الاية : ١٧ ، ١٨

(٢) لسان العرب ـ ابن منظور ٤٠٢/١٥.

الخير ابتغاء رضوانه ورحمته وتجنب الشر اتقاء سخطه ونقمته . (١)

(٢) والتقوى هي : عبارة عن كمال توقي الانسان عمايضره يوم القيامة . أو فعل المأمورات التي تستوجب رضا الله وثوابه وتجنب المنهيات التي تستتبع غضب الله وعقابه .

(٣) سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه أبي بن كعب رضي الله عنهما عن التقوى ؟ فقال له : اما سلكت طريقا ذا شوك؟

قال : بلى . قال فما عملت ؟ قال : شمّرت واجتهدت . قال : فذلك التقوى .

(٤) وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : التقوى هي الخوف من الجليل ، والعمل بالتنزيل ، والقناعة بالقليل ، والاستعداد ليوم الرحيل .

(٥) وقال أبو الدرداء رضي الله عنه : تمام التقوى : أن يتقي الله العبد ، حتي يتقيه من مثقال ذرة ، وحتي يترك بعض مايرى انه حلال خشية ان يكون حراما ، يكون حجابا بينه وبين الحرام ، فان الله قد بين للعباد الذى يصيرهم اليه فقال:

(فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) (٢)

(٦) وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : ليس تقوى الله بصيام النهار ولا بقيام الليل والتخليط فيما بين ذلك ، ولكن تقوى الله : ترك ماحرم الله ، وأداء مافترض الله ، فمن رزق بعد ذلك خيرا فهو خير إلى خير .

---

(١) شؤم المعصية وبركة التقوى ـ احمد عز الدين البيانوني ص ٧١.

(٢) سورة الزلزلة ، الاية: ٧ ، ٨ .

٧) وقال طلق بن حبيب رحمه الله : التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله وان تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله .

(٨) وقال بعض الحكماء : لايبلغ الرجل سنام التقوى : الا ان يكون بحيث لو جعل مافي قلبه في طبق فطيف به في السوق لم يستح ممن ينظر إليه .

(٩) وقيل : التقوى : أن لايراك الله حيث نهاك،ولايفقدك حيث أمرك.

(١٠) وقيل : التقوى : ان تزيّن سرك للحق ، كما تزيّن علانيتك للخلق(١)

* مراتب التقوى :

والتحقيق ان للتقوى ثلاث مراتب :

الاولى : التوقي من الخلود في العذاب يوم القيامه وذلك بقول: (لا اله الا الله).

واليها الاشارة بقوله تعالى : (وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحقّ بها وأهلها ...) (٢)

الثانية: فعل أوامر الله تعالى ، واجتناب نواهيه ،

وإليها الاشارة بقوله تعالى : (ولو أنّ أهل القرىٰ آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ....) (٣)

الثالثة: التنزّه عما يشغل السرّ عن الله تعالى :

واليها الاشارة بقوله تعالى (يا أيها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته ولاتموتن إلا وأنتم مسلمون)(٤)

---

(١) التقوى ـ صلاح الدين ماردينيp١٧٤١٦(٢) سورة الفتح الاية : ٢٦

(٣) سورة الاعراف الاية : ٩٦ (٤) سورة ال عمران الاية : ١٠٢.

قال ابن مسعود : ومعناه : أن يطاع فلا يعصى ،وان يذكر فلا ينسى وأن يشكر فلا يكفر .(١)

* آيات التقوى :

وردت مادة كلمة (وقى) بتصاريفها المختلفة (٢٥٨) مرة في القران الكريم .

وسأختار بعضا من هذه الايات التي تجلّي معني التقوى)واُهميّتها وفضلها)وثمراتها :

(١) الأمر بالتقوى :

قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حقّ تقاته ...) (٢)

وقال تعالى : (ولقد وصينا الذين أُوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله ....) (٣)

وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا.(٤)

وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ماقدمت لغد واتقوا الله .....) (٥)

(٢) التقوى علامة الانسان :

قال تعالى : (واتقوا الله إن كنتم مؤمنين) (٦)

(٣) التقوى من منح الله تعالى لعباده :

قال تعالى : (ونفس وماسواها . فألهمها فجورها وتقواها..) (٧)

---

(١) انظر تفسير ابي السعود ٢٣/١، شؤم المعصية وبركة التقوى البيانوني ٧٢ ،١٧٣

(٢) سورة ال عمران الاية ١٠٢

(٣) سورة النساء الاية ١٣١ (٤) سورة الاحزاب الاية ٧٠(٥)سورة الحشر اية ١٨

(٦) سورة المائدة الاية :٥٧ (٧) سورة الشمس الاية : ٧ ،٨

وقال تعالى : (والذين اهتدوا زادهم هدى . وآتاهم تقواهم ٠)(١)

(٤) جعل الله التقوىٰ ميزان التفاضل بين العباد وسبب الاعزازلديه :

(... إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم) (٢)

(٥) والتقوىٰ صفة أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون) (٣)

(٦) والتقوىٰ مظهر البرّ والشكر :

قال تعالى: (ولكن البرّ من اتقىٰ ٠٠)(٤)

قال تعالى: (فاتقوا الله لعلكم تشكرون) (٥)

وقال تعالى : (واتقوا الذى أمدّكم بما تعلمون . أمدّكم بأنعام وبنين وجنات وعيون) (٦)

(٧) المؤمن يطمح أن يكون إماما في التقوى

قال تعالى : (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجناوذرياتنا قرّة أعين واجعلنا للمتقين إماما) (٧)

---

(١) سورة محمد الاية : ١٧

(٢) سورة الحجرات الاية :١٣

(٣) سورة يونس الاية : ٦٢ ، ٦٣

(٤) سورة البقرة الاية : ١٨٩

(٥) سورة آل عمران الاية : ١٢٣

(٦) سورة الشعراء الاية : ١٣٢ – ١٣٤

(٧) سورة الفرقان الاية : ٠٧٤

* ثمرات التقوى :

للتقوى بركات جمّة ، وثمرات عظيمة :

(١) فهي سبب محبة الله تعالى :

قال تعالى: (بلى ،من أوفى بعهده واتقى ،فان الله يحب المتقين)(١)

(٢)والتقوى سبب القرب من رحمة الله تعالى :

قال تعالى : (ورحمتي وسعت كل شي ء فسأكتبها للذين يتقون)(٢)

وقال تعالى: (وهذا كتاب أنزلناه مبارك ، فاتبعوه واتقوا ، لعلكم ترحمون) (٣)

(٣) والتقوى سبب العون من الله عز وجل ومبعث التوفيق :

قال تعالى : (إنّ الله مع الذين اتقواوالذين هم محسنون)(٤)

وقال تعالى : (واتقوا الله واعلموا أنّ الله مع المتقين)(٥)

وقال تعالى : (فأما من أعطى واتقى وصدّق بالحسنى فسنيسره لليسرى) (٦)

(٤) والتقوى سبب الأمن وسفينة النجاة وطريق الفوز والنجاح:

قال تعالى : (فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون)(٧)

وقال تعالى:(وينجي الله الذين اتقوابمفازتهم لايمسّهم السوء..)(٨)

(٥) والتقوى تبعث نورا في القلب ، يفرّق به صاحبه بين الحق والباطل :

قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفّر عنكم سيئاتكم ...)(٩)

---

(١)سورة آل عمران : الاية ٧٦ ، (٢) سورة الاعراف الاية : ١٥٦
(٣) سورة الانعام الاية : ١٥٥ (٤) سورة النحل الاية : ١٢٨
(٥) سورة البقرة الاية : ١٩٤ (٦) سورة الليل الاية : ٥ – ٧
(٧) سورة الاعراف الاية ٣٥ (٨) سورة الزمر اية ٦١ (٩)سورة الانفال الاية :٢٩.

٦) والتقوى تصون صاحبها عن الاستمرار في الغفلات وتذكرة وتبصره بالامور :

قال تعالى: (إنّ الذين اتقوا إذا مسّهم طائف من الشيطان تذكّروا فإذا هم مبصرون) (١)

(٧) والتقوى مكفرة للسيئات :

قال تعالى : (ولو أنّ أهل الكتاب آمنوا واتقّو ا لكفّرناعنهم سيئآتهم ....) (٢)

وقال تعالى: (ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا) (٣)

(٨) والتقوىٰ سبب دوام الصحبة بين الاخلاء:

قال تعالى : (الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين. ياعباد لاخوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنو ن) (٤)

(٩) والتقوىٰ سبب عظيم في تيسير الأمور وسعة الرزق :

قال تعالى : (ولو أن أهل القرى آمنواواتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض) (٥)

وقال تعالى: (ومن يتق اللهيجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب) (٦).

(١٠) والتقوى سبب من أسباب النصر ووقاية من العدو:

قال تعالى : (وإن تصبروا وتتقوا لايضرّكم كيدهم شيئا)(٧)

---

(١) سورة الاعراف ـ ٢٠١.(٢) سورة سورة المائدة اية ٦٥.
(٣) سورة الطلاق اية :٥ (٤) سورة الزخرف الاية ٦٧ـ٦٨(٥) سورة الاعراف٩٦
(٦) سورة الطلاق الاية ٢ ، ٣ (٧) سورة ال عمران الاية : ١٢٠.

(١١) والتقوى سبب لاصلاح العمل :

قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا ، يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ...)(١)

(١٢) والتقوى سبب قبول العمل :

قال تعالى : (إنّما يتقبل الله من المتقين) (٢)

(١٣) ومن ثمرات التقوى : البشارة في الحياة وبعد الممات :

قال تعالى : (الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ...) (٣)

(١٤) ومن ثمرات التقوى الأجر العظيم في الاخرة :

قال تعالى : (وإن تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم) (٤)

وقال تعالى: (إنّ المتقين في جنات وعيون ، آخذين ما آتاهم ربهم إنّهم كانوا قبل ذلك محسنين ...) (٥)

(١٥) ومن أعظم ثمرات التقوى : الخلود في الجنة ، دار النعيم:

قال تعالى : (قل متاع الدنيا قليل . والآخرة خير لمن اتقى) (٦)

وقال تعالى : (تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا) (٧)

وقال تعالى : (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين) (٨)

---

(١) سورة الاحزاب الاية : ٧٠ ، ٧١ (٢) سورة المائدة الاية : ٢٧

(٣) سورة يونس الاية : ٦٢ ، ٦٣ (٤) سورة ال عمران الاية : ١٧٩

(٥) سورة الذاريات الاية : ١٥ ، ١٦ (٦) سورة النساء الاية : ٧٧

(٧) سورة مريم الاية : ٦٣ (٨) سورة ال عمران الاية : ١٣٣.

انظر : التقوى ـ ماردیني ص ٢٣ ـ ٢٧ + شؤم المعصية وبركة التقوى ـ البيانوني ص ٧٠ ـ ٩٠ بتصرف شديد.

* المبحث الرابـــع :

الاستقامـــــــــــــــــة

= الاستقامـــــة :

ومن ابرز الصفات التي يجب على الداعية التحلّي بها: صفـــــة الاستقامة وهي لزوم المنهج المستقيم (١)

والاستقامة هي الاقامة على الاسلام والدوام على هدى الله عز وجل والاستمرار في التقيد بقيوده والوقوف عند حدوده والاستجابه لأوامـره والانتهاء عن محارمه .(٢)

الاستقامة في القصد.والاستقامه في القول والفعل ، وتبرز آيـات من السورة هذه الصفة على أنّها صفة عظيمة ورائعة،ومن اتصف بهـــا كان له من أجر الله العظيم الأخروي الشيء الكثير ممـا لاعين رأت و لا أذن سمعت ولاخطر على قلب بشر .

يقول الله الحق تعالى :

(إنّ الذين قالوا ربّنا الله ثم استقاموا تتنزّل عليهم الملائكـــة ألاّ تخافو ا ولاتحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ماتشتي أنفسكم ولكم فيـــها ماتدّعون.نزلا من غفور رحيم) (٣)

عن ابن عباس رضي الله عنهماقال :

(نزلت هذه الاية في أبي بكر الصديق رضي الله عنه وذلك أنّ المشركين قالوا،ربنا الله،والملائكة بناتهوهؤلاء شفعاؤنا عند الله فلميستقيموا

---

(١) دليل الفالحين ـ محمد بن علان الصديقي ـ ٢٨٢/١

(٢) موسوعة أخلاق القران ـ د. احمد الشرباصي ١٦٥/١

(٣) سورة فصلت الاية : ٣٠ ـ ٣٢

وقال أبو بكر: ربنا الله وحده لاشريك له ومحمد صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله فاستقام .

وعن أنس بن مالك أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ :

(إنّ الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) قال : قد قال الناس ثم كفر أكثرهم فمن مات عليها فهو ممن استقام .(١)

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المنبر وهو يخطب (إنّ الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ..) فقال : استقاموا والله على الطريقة لطاعته ثم لم يروغوا روغان الثعالب .

وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه ثم أخلصوا العمل لله .

وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه :

ثم أدّوا الفرائض ،

واقوال التابعين بمعناها. ومنها ماقاله الفضيل بن عياض

زهدوا في الفانية ورغبوا في الباقية .

وقيل استقاموا اصرارا كما استقاموا اقرارا ...

قال القرطبي : وهذه الاقوال وان تداخلت فتلخيصها اعتدلوا على طاعة الله عقدا وقولا وفعلا ، وداموا على ذلك ..

(تتنزل عليهم الملائكة ألاّ تخافوا ولاتحزنوا وأبشروا ...)

---

(١) اخرجه الترمذى في كتاب التفسير ، باب سورة حم السجدة ٥/٣٧٦ رقم ٣٢٥٠. وقال حديث حسن غريب لانعرفه الا من هذا الوجه ..

قال ابن زيد ومجاهد : تتنزل عليهم الملائكة عند الموت وقال مقاتل وقتاده :

اذا قاموا من قبورهم للبعث ،

وقال وكيع وابن زيد : البشرى في ثلاثة مواطن عند الموت وفي القبر وعند البعث (الا تخافوا ولاتحزنوا) فلا تخافوا على اولادكم فان الله خليفتكم عليهم ولاتخافوا برد ثوابكم فانه مقبول/ولاتحزنوا على ذنوبكم فاني اغفرها لكم .(وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون)

وتقول لهم الملائكة الذين تتنزل عليهم بالبشارة :

(نحن أولياؤكم في الحياة الدنياوفي الآخرة)

قال مجاهد : أي نحن قرناؤكم الذين كنا معكم في الدنيا ، فاذا كان يوم القيامة قالوا لن نفارقكم حتى ندخل الجنة .

ويجوز ان يكون هذا من قول الله تعالى والله وليّ المؤمنين ومولاهم .

(ولكم فيها ماتشتهي أنفسكم) من الملاذ (ولكم فيها ماتدّعون) ماتسألون وتتمنون (نزلا) أى رزقا وضيافة لكم (من غفور رحيم) سبحانه وتعالى (١)

وهذه الايات تبسط ظلالا وارفا وطويلا تبيّن فيه حقيقة الاستقامة وجزاءها ،

الاستقامة على قولة :(ربنا الله) الاستقامه عليها بحقها وحقيقتها .

---

(١) الجامع لاحكام القران ـ القرطبي ـ ٠٣٥٧/١٥

رقم ٣٥٩ بتصرف .

الاستقامة عليها شعورا في الضمير وسلوكا في الحياة .

الاستقامة عليها والصبر على تكاليفها أمرولاشك كبير وعسير ومن ثم يستحق عند الله هذا الانعام الكبير . صحبة الملائكة وولاءهم ومودتهم هذه التي تبدو فيمن قال الله عنهم وهم يقولون لاوليا ءهم المؤمنين لاتخافوا. لاتحزنوا . أبشروا بالجنة التي كنتم توعدون.

نحن أولياؤكم في الحياة الدنياوفي الآخرة . ثم يصورون لهم الجنة التي يوعدون تصوير الصديق لصديقه . مايعلم أنه يسرّه علمه وروءيته من خطه المرتقب .

(لكم فيها ماتشتهي أنفسكم ولكم فيها ماتدّعون) ويزيدونها لهم جمالا وكرامه .

(نزلا من غفور رحيم) فهي من عند الله أنزلكم إيّاها بمغفرته ورحمته فأيّ نعيم بعد هذا النعيم (١)

ومن الضرورة استقامة الداعية فانه يدعو الناس الى فعل الفضيلة واجتناب الرذيلة ..

وهذا هو عين الاستقامه ، فكيف يدعو الناس الى امر هو بعيد عنه او يدعوهم الى مالايمتثل هو له اصلا.

فان عدم استقامة الداعية كليّا أو جزئيا/يعتبر الازدواجية في الشخصية .

---

(١) في ظلال القران ـ سيد قطب ـ ٣١٢١/٥.

ومن التناقض في تركيبة ذلك الداعية فان الداعية يدعو بشخصه وبالقدوة قبل الكلمة ويدعو بفعله قبل نطقه .

(أتأمرون الناس بالبرّ وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب.أفلا تعقلون) (١)

(يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالاتفعلون . كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالاتفعلون) (٢).

---

(١) سورة البقرة الاية ٤٤

(٢) سورة الصف الاية ٢ ،٣.

هذه هي تعريفات الاسلام بهذا الخصوص .

فلا يكون الداعية ذا شطط ولا شطح في التفكير أو في السلـــوك القولي والفعلي وقبل ذلك لايكون منحرفا في القصد والنية .

عن ابي عمرو وقيل ابي عمرة سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قال: قلت يارسول الله قل لي في الاسلام قولا لاأسأل عنه أحدا غيرك قال :

قال : قل آمنت بالله ثم استقم (١)

أى استقم على عمل الطاعات والانتهاء عن جميع المخالفات إذ لاتأتّى الاستقامة مع شيء من الاعوجاج فانها ضده (٢)

والاستقامة الكاملة لاتتأتى لاحد سوى المعصومين.ولكن المطلوب محاولة الاستقامة والوصول اليها ومجاهدة النفس في سبيل بلوغها فانه لابد من التقصير في الاستقامة المأمور بها فيجبر ذلك الاستغفار المقتضي للتوبة والرجوع الى الاستقامه .

قال صلى الله عليه وسلم (كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون) (٣)

وقد أُخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنّ الناس لن يستطيعوا الاستقامة فعن ثوبان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(استقيموا ولن تحصوا علموا أنّ خير أعمالكم الصلاة ، ولايحافظ على الوضوء الا موءمن) (٤)

---

(١) اخرجه مسلم في كتاب الايمان ـ باب جامع اوصاف الاسلام ١/٦٥رقم٣٨

(٢) دليل الفالحين ـ محمد بن علان الصديقي ـ ١ / ٢٨٤

(٣) اخرجه احمد ـ ٣/١٩٨ والترمذي في صفة القيامة باب الموءمن يرى ذنبه كالجبل فوقه . ٤/٦٥٩ رقم ٢٤٩٩.

(٤) اخرجه احمد في المنده ٢٧٧ و ٢٨٢.

وعن ابي هريره رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(سددوا وقاربوا) (١)

فالسداد : هو حقيقة الاستقامة وهو الاصابة في الاقوال والاعمال والمقاصد كالذى يرمي الى غرض فيصيبه .

فمتى استقام العبد على مفرفة الله وعلى خشيته واجلاله ومهابته ، ومحبته وارادته ورجائه ، ودعائه والتوكل عليه والاعراض عما سواه استقامت الجوارح كلها على طاعته ، فان القلب هو ملك الاعضاء وهي جنوده فاذا استقام الملك استقامت جنوده ورعاياه ، وعلى هذا المعنى جاء قوله تعالى :

(فأقم وجهك للدين حنيفا ....) (٢) باخلاص القصد لله وحده لاشريك له . واعظم مايراعي استقامته بعد القلب من الجوارح : اللسان .

فانه ترجمان القلب والمعبر عنه . ولهذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالاستقامة ووصاه بعد ذلك بحفظ لسانه .

فعن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لايستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولايستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه) (٣)

وفي رواية (اذا اصبح ابن ادم فان الاعضاء كلها تفكّر اللّسان فتقول: اتق الله فينا فانما نحن بك ، فان استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا) (٤)

---

(١) اخرجه البخارى في كتاب الايمان ، باب أحب الدين الى الله أدومه ١٠١/١ رقم ٤٣ومسلم في كتاب الصلاة باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل ٥٤٠/١ رقم ٠٧٨٢ (٢) سورة الروم الاية : ٣٠.

(٣) اخرجه الامام احمد في المسند ٣ / ١٩٨

(٤) اخرجه الترمذى عن ابي سعيد مرفوعا وموقوفا ، كتاب الزهد باب ماجاء في حفظ اللسان ٦٠٥/٤ رقم ٠٢٤٠٦

انظر جامع العلوم والحكم - ابن رجب الحنبلي ١٧٧ - ١٧٩ بتصرف

* المبحث الخامس :

القيام بالدعـــــــــــوة

القيام بالدعـــــوة :

من ابرز مايمتاز به الداعية عن غيره من الناس هو قيامـــــه بالدعوة الى الله تعالى ، وليس معنى هذا ان الدعوة الى اللـــــه حكر عليه وحده ، لا وكلا ، فان الدعوة الى الله تجب على كل فرد من افراد المجتمع بحسب قدرته وجهده وطاقته .

وإنّ الدعوة إلى الله هي احسن الاقوال عند الله ، ويظهـــــر هذا جليّا وواضحا في قوله تعالى :

(ومن أحسن قولا ممّن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنّني مـــــن المسلمين .....) (١)

قال القرطبي : في تفسير هذه الاية ...

والمعنى : أيّ كلام أحسن من القرآن. ومن أحسن قولا من الداعي الى الله وطاعته .

وقال ابن سيرين والسدّي وابن زيد والحسن :

هو رسول الله صلى الله محمد صلى الله عليه وسلم ، وكان الحســـن إذا تلا هذه الاية يقول :

هذا رسول الله ،هذا حبيب الله ، هذا وليّ الله ، هذا صفـــوة الله ، هذا خيرة الله ، هذا والله أحبّ أهل الارض إلى اللـــــه أجاب الله في دعوته ودعا النّاس إلى ما أجاب الله .

---

(١) سورة فصلت الاية : ٣٣.

وقالت عائشة رضي الله عنها وعكرمه وقيس ابن ابي حازم ومجاهد نزلت في المؤذنين قال ابن العربي :

والاول أصح .لأن الآية مكية والأذان مدني.وإنما يدخل فيه بالمعنى لا بأنه كان المقصود وقت القول.

وقال الحسن البصرى : هذه الاية عامة وفي كل من دعا إلى الله وهو أحسن الاقوال (١)

وقال السعدي في تفسير هذه الاية هذا استفهام بمعنى النفي المتكرر أي لا أحد أحسن قولا ،أي كلاما وطريقة وحالة (ممن دعا إلى الله) بتعليم الجاهلين ووعظ الغافلين والمعرضينومجادلة المبطلين بالامر بعبادة اللهبجميع أنواعها ، والحث عليها وتحسينها مهما أمكن والزجر عما نهى الله عنه وتقبيحه بكل طريق يوجب تركه خصوصا من هذه الدعوة الى اصل دين الاسلام وتحسينه .ومجادلة اعدائه .بالتي هي احسن والنهي عما يضاده من الكفر والشركوالامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وان الدعوة الى الله تحبيبه الى عباده بذكر تفاصيل نعمه وسعة جوده وكمال رحمته ، وذكر اوصاف كماله ونعوت جلاله .

ومن الدعوة الى الله : الترغيب في اقتباس العلم والهدى من كتاب الله وسنة رسوله ..والحث على ذلك بكل طريق موصل اليه .

---

(١) الجامع لاحكام القران ـ القرطبي ٠٣٦٠/١٥

ومن ذلك : الحث على مكارم الاخلاق ، والاحسان الى عموم الخلق ومقابلة المسيء بالاحسان والامر بصلة الارحام وبر الوالدين

ومن ذلك الوعظ لعموم الناس في اوقات المواسم والعوارض ... والمصائب بما يناسب ذلك الحال .. الى غير ذلك مما لاتنحصر افراده بما تشمله الدعوة الى الخير كله والترهيب من جميع الشر ... (١)

فالقيام بالدعوة من مزايا وخصائص الداعية سواء كانت دعوته :

أ ـ موجهه الى غير المسلمين بدعوتهم الى الدخول في الاسلام .

ب ـ أم كانت موجهة إلى المسلم فردا أو جماعة بدعوته الى تقوية اواصر الايمان والتحلي باداب وشعائر الاسلام والالتزام بأوامر الاسلام والاجتناب عن نواهيه .

وهذه الاية ترسم صورة الداعية الى الله وتصف حديثه وادبه وتوجه رسول الاسلام وكل داعية من امته بهذا المنهج العظيم .

فهذا منهجك يامحمد ومن سار على مثل ماسرت عليه فلابد من قيامك بالدعوة ودمعك بالتي هي أحسن والصبر على طول الطريق ووحشته .

إنّ كلمة الدعوة حينذ هي أحسن كلمة تقال في الأرض وتصعد في مقدمة الكلم الطيب الى السماء ولكن مع العمل الصالح

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ السعدي ٦/٥٧٥-٥٧٦ .

الذى يصدق الكلمة ، ومع الاستسلام لله الذى تتوارى معه الـــذات فتصبح الدعوة خالصـــة لله ليس للداعية فيها شأن الا التبليغ .

ولا على الداعية بعد ذلك أن تتلقى لكمته بالاعراض أو بسوء الادب او بقبح في الانكار .

فهو انما يتقدم بالحسنة . فهو في المقام الرفيع وغيـــــره يتقدم بالسيئة فهو في المكان الدون . (١)

والدعوة الى الله لازمة للداعية في كل احواله ، فحالـــه كحال المرسلين فهم لم يتقاعســـوا عـن الدعوة ساعـة من الزمـــن بل لقد وهبوا حياتهم كلها من اجل القيام بالدعوة وتحمل مايلاقونه في سبيلها من الاذى ومن المصاعب .

فاذا ما أحسّ الداعية بتراجع نفسه تجاه الدعوة والحركـــة والعمل الدؤوب والمتواصل ، فليعلم أنّه قد أُصيب بالفتـــــور وأنّ نفسه قد ضعفت فليرجع إلى نفسه وليحاسبها وليكثر من عمـــل الصالحات التي ترفع من إيمانه وتقويه حتى ينهض ويرجع الـــى ماكان عليه من اقدام وعدم تخاذل وتراجع .

والنفس ان تركت وتعودت على الراحة وعدم العمل والحركـــة المستمرة ، خلدت إلى الأرض وإلى الكسل . وبالتالي تضعف الهمـــة وتخور العزيمة . والداعية مطالب بأن يكون عالي الهمّة شديـــد التضحية قويّ النفس يخوض معترك الحياة ، ويواجه الشدائـــــد بصدر رحب حتى يصل بمشيئة الله الى نتائج محمودة ومرضية .

---

(١) في ظلال القران ـ سيد قطب ـ ٣١٢١/٥ بتصرف.

وكلما استشعر الداعية مسئوليته في القيام بواجبه نحو الدعـــوه واستشعر الفضل الذى سيحصل عليه ان شاء الله ، بسبب الدعـــــوه ازداد نشاطا وحماسا .

ولذلك يستحسن أن يراجع الداعيه هذه المسائل مع نفسه أومع غيره من الافراد أو مع العلماء أو بقراءتها في الكتب ولاسيمـــــا كلما آحس بتثاقل وهدوء في هذا الجانب .

* المبحث السادس :

الاستعلاء والاعتزاز والانتماء

الاستعلاء والاعزاز والانتماء :

تظهر صفة انتماء الداعية المسلم لدينه بارزه من بين صفاته في سورة فصلت .

قال تعالى : (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين) (١)

بل ان هذه الاية لتبين قدر هذا الداعيه منخلال انتمائه للاسلام ، فتعلى قدره وتجعله عزيزا على غيره ، ولم يحصل له هذا الشرف وهذه المكانة بالنظر الى جنسه ، أو لونه ، بل لانه ينتمي الى هذا الدين قولا وعملا وسلوكا .

قال تعالى : (ان الدين عند الله الاسلام) (٢)

بل لقد تجاوز درجة التدين الشخصي والذاتي الى درجة الدعوة الى هذا الدين بالقدره والقول والفعل ، ولذلك استحق هذا الشرف والمكانة ..

---

(١) سورة فصلت الاية : (٣٣)

(٢) سورة آل عمران الاية : (١٩).

فالاسلام يعلو ولايعلى عليه والمسلم عند الله أفضل من غيره من البشر بل إنّه لاوجه هناك للمقارنه.

قال تعالى : (إنّ الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء.....) (١)

وقال تعالى : (وقدمنا إلى ماعملوا من عمل فجعلناه هباء منشورا) (٢)

والاسلام يذكي في المسلم انتماءه لدينه لينطلق المسلم وبالاخص الداعية من ثقة ومن قوة .

قال تعالى : (قل إنّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لاشريك له .وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) (٣)

وقال تعالى : (فإن توليتم فماسألتكم من أجر إن أجري إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين) (٤)

قال تعالى : (وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنّه لا إله إلا الذي آمنت به بنوا إسرائيل وأنا من المسلمين) (٥)

---

(١) سورة النساء الاية : ١١٦

(٢) سورة الفرقان الاية : ٢٣

(٣) سورة الانعام الاية : ١٦٢ ، ١٦٣

(٤) سورة يونس الاية : ٧٢

(٥) سورة يونس الاية : ٩٠

وقال تعالى : (إنّما أُمرت أن أعبد ربّ هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وأُمرت أن أكون من المسلمين) (١)

وقال تعالى : (قل إنّي أُمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وأُمرت لأن أكون أوّل المسلمين) (٢)

وقال تعالى : (ووصينا الانسان بوالديه إحسانا حملته أُمّه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى إذا بلغ أشدّه وبلغ أربعين سنة قال ربّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلىٰ والديّ وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين) (٣)

(١)قال ابن جرير مفسرا لآية فصلت المتقدمة :

(..... وقال إنني من المسلمين)

أي وقال إنني ممن خضع لله بالطاعة وذل له بالعبودية وخشع له بالايمان بواحدانيته) (٤)

(٢) وقال الفخر الرازي :

وأمّا قوله : (وقال إنني من المسلمين) فهو ان ينضم الى عمل القلب وعمل الجوارح الاقرار باللسان فيكون هذا الرجل موصوفا بخصال اربعة :

---

(١) سورة النمل الاية : ٩١ (٢) سورة الزمر الاية : ١١ ، ١٢.

(٣) سورة الاحقاف الاية : ١٥

(٤) جامع البيان في تفسير القران ـ الطبرى ٢٤ / ٧٥.

أحدها : الاقرار باللسان

والثاني: الاعمال الصالحة بالجوارح

والثالث: الاعتقاد الحق بالقلب .

والرابع : الاشتغال باقامة الحجة على دين الله .

ولا شك ان الموصوف بهذه الخصال الاربعة اشرف الناس وافضلهم وكمال الدرجة في هذه المراتب الاربعة ليس الا لمحمد صلى الله عليه وسلم (١)

(٣) وقال السعدى :

(وقال إنّني من المسلمين)

اى من المنقادين لامره العالكين طريقه وهذه المرتبة ، تمامها للصديقين الذين عملوا على تكميل انفسهم ... وتكميل غيرهم وحصلت لهم الوراثة التامة من الرسل . (٢)

(٤) وقال الالوسي :

(وقال إنّني من المسلمين)

أى تلفظ بذلك ابتهاجا بأنه منهم وتفاخرا به مع قصد الثواب اذ هو لاينافيه . (٣)

---

(١) التفسير الكبير - الرازى ٢٧/ ١٢٦

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلا م المنان السعدى ٠٥٧٦/٦

(٣) روح المعاني - الالوسي - ٠١٢٢/٢٤

الاستثنـــاء في الاسلام والايمـــان :

مما لاشك فيه ان مراتب الدين ثلاثة هي على الترتيب :

الاسلام فالايمان فالاحسان ،

وإذا اطلقت أحدها منفردة شملت جميع المراتب وأصبحت علما علـــى الدين كله .

واما اذا ذكرت احداها مقترنة بالأخرى كما لو ذكر الاســـلام والايمان فان لكلواحد منها مفهوم مغاير للاخر .

فالاسلام يشمل أركانه الخمسة المعروفة شعائر الاسلام التعبدية الظاهرة .

والايمان يشمل أركانه الستة المعروفة وهي ماتعلقت بالامـــور الغيبية .

وكذا القول مع الاحسان وقد يقول قائل هل يجوز ان يثبـــت الانسان لنفسه الاسلام او الايمان صراحة . فيقول انا مؤمن او انـــا مسلم ؟

وهل يجوز ان يستثني في ايمانه او اسلامه فيقول انا مؤمـــن او مسلم ان شاءالله ؟

قال ابن تيمية :

واما الاستثناء في الايمان بقول الرجل : انا مؤمن إن شـــاء الله فالناس فيه على ثلاثة اقوال :

(١) منهم من يوجبه

(٢) ومنهم من يحرّمه

(٣) ومنهم من يجوّز الأمرين باعتبارين ، وهذا أصح الاقوال .

(١) فالذين يحرمونه هم: المرجئة والجهمية ونحوهم ممن يجعل الايمان شيئا واحدا يعلمه الانسان من نفسه كالتصديق بالرب ونحو ذلك مما في قلبه . وقالوا فمن استثنى في ايمانه فهو شاك فيه .

(٢) والذين يوجبونه لهم مأخذان :

أ - ان الايمان هو مامات عليه الانسان ، والانسان انما يكون موءمنا وكافرا باعتبار الموافاة وماسبق في علم الله انه يكون عليه وماقبله فلاعبرة به .

ب - ان الايمان المطلق يتضمن فعل ماامر الله به عبده كله وترك المحرمات كلها . فاذا قال الرجل انا موءمن ، فقد شهد لنفسه بأنه من الابرار المتقين ، القائمين بفعل جميع ما أمروا به وترك كل مانهوا عنه فيكون من اولياء الله .وهذا من تزكية الانسان لنفسه .وشهادته لنفسه بما لايعلم.

ولو كانت هذه الشهادة صحيحة لجاز ان يشهد الانسان لنفسه بالجنة ان مات على هذه الحال.

(٣) والذين يجوّزون الأمرين وهم أسعد الناس بالدليل وخير الامور أوسطها .

أ - فان اراد المستثني الشك في اصل ايمانه منع الاستثناء وهذا مما لاخلاف فيه .

ب – وان اراد انه موءمن من الموءمنين الذين وصفهم الله في قوله :

(إنّما الموءمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون أُولئك هم الموءمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم) (١)

فالاستثناء حينئذ جائز .....

وكذلك من استثنى وأُراد عدم علمه بالعاقبة وكذلك من استثنى تعليقا للامر بمشيئة الله لاشكاً في إيمانه ،وهذا القول في القوّة والصحة أظهر . (٢)

---

(١) سورة الانفال الاية : ٢ – ٤.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ، الايمان ٤٢٩/٧ بتصرف واختصار

* المبحث السابع :

مقابلة السيئة بالحسنة

مقابلة السيئة بالحسنة :

وتزدان صورة الداعية وشخصيته إذا قابل السوء في حياته العادية وفي حياته العملية والدعوية بالاحسان . ولا وجه لمماثلة السيئة بالحسنة . فانما الحسنة في بهائها وجمالها وحسنها كأنها طائر يحلّق في جوّ السماء آخذا في العلوّ والرفعه .... وكأنما السيئة في قبحها وفسادها دابة من دواب الارض تسكن الحفر تحت الارض وتنتظر فريسة لها لتلدغها وتفرغ سمّها فيها

وتبين سورة فصلت تلك الحالة وهي عدم مساواة الحسنة بالسيئة وماهو واجب الداعية تجاه مقابلته لسيئة من غيره ماذا يفعل.قال الله تعالى :

(ولا تستوي الحسنة ولا السيئة. إدفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنّه وليّ حميم.ومايلقاها إلا الذين صبروا ومايلقاها إلا ذو حظ عظيم) (١)

قال القرطبي :

(لايستوي ما أنت عليه من التوحيد وما المشركون عليه من الشرك)

وقال ابن عباس رضي الله عنهما الحسنه لا إله الا الله،والسيئة : الشرك .

---

(١) سورة فصلت الاية : ٣٤ ، ٣٥ .

وقيـــل : الحسنة : الطاعة والسيئة : الشرك.

وقيـــل : الحسنة : المدارة ، والسيئة : الغلظة

وقيـــل : الحسنة : العفو ، والسيئة : الانتصار

وقال الضحاك : الحسنة : العلم ، والسيئة : الفحش (١)

وقال الشوكاني :

الحسنة هي : مايرضى الله عنها ويثيب عليها ، والسيئة هـــي التي يكرهها ويعاقب عليها ولا وجه لتخصيص الحسنة بنوع من أنواع الطاعات وتخصيص السيئة بنوع من أنواع المعاصي فإن اللفـــظ أوسع من ذلك . (٢)

ولا يستوى فعل الحسنات والطاعات لاجل رضى الله تعالى وفعل السيئات والمعاصي التي تسخطه ولا ترضيه ولا يستوى الاحســـــان الى الخلق ولا الاساءة إليهم . لافي ذاتها ولا في وصفها ولا فـــي جزائها (هل جزاء الاحسان إلا الاحسان) (٣)

ثم أمر سبحانه بإحسان خاص له موقع كبير وهو الاحسان إلـــى من أساء . (٤)

---

(١) الجامع لاحكام القران ـ القرطبي ٣٦١/١٥

(٢) فتح القدير ـ الشوكاني ـ ٥١٦/٤

(٣) سورة الرحمن : الاية ٦٠

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ السعدى ٥٧٧/٦.

(ادفع بالتي هي أحسن) أي ادفع سفاهتهم وجاهلتهم بالطريق الذى هو أحسن الطرق . فإنك إذا صبرت على سوء أخلاقهم مرة بعد أخرى ولم تقابل سفاهتهم بالغضب ولا اضرارهم بالايذاء استحيوا من تلك الاخلاق المذمومه وتركوا تلك الافعال القبيحة (١)

قيل ان هذه الاية نسخت بآية السيف وبقي المستحب من ذلك حسن المعاشرة والاحتمال والاغضاء .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : أي ادفع بحلمك جهل من يجهل عليك .

وقال ايضا : هو الرجل يسبّ الرجل فيقول الاخر ان كنت صادقا فغفر الله لي وان كنت كاذبا فغفر الله لك (٢)

وإذا أساء إليك مسيء من الخلق خصوصا من له حق كبير عليك كالأقارب والأصحاب ونحوهم اساءة بالقول او الفعل فقابله بالاحسان إليه .

فان قطعك فصله وان ظلمك فاعف عنه وإن تكلّم فيك غائبا او حاضرا فلا تقابله ، بل اغف عنه وعامله بالقول اللين.

وان هجرك وترك خطابك فطيّب له الكلام وابذل له السلام فاذا قابلت الاساءة بالاحسان حصلت فائدة عظيمة . (٣)

---

(١) التفسير الكبير ـ الرازى ١٢٧/٢٧

(٢) الجامع لاحكام القران ـ القرطبي ٣٦١/١٥

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ السعدى ٥٧٧/٦

(فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه وليّ حميم)

وتصدق هذه القاعدة في الغالبية من الحالات وينقلب الهياج الى وداعة ، والغضب إلى سكينه ، والتبجح الى حياء . على كلمة طيبة ونبره هادئه وبسمه حانيةّ في وجه هائج غاضب . مفلوت الزمام.

ولو قوبل بمثل فعله ازداد هياجا وغضبا ومرورا وخلع حياءه نهائيا وأُخذته العزّة بالاثم .

غير أنّ تلك السماحة تحتاج الى قلب كبير يعطف ويسمح وهو قادر على الاساءةّ والردّ.

وهذه السماحة كذلك قاصرة على حالات الاساءة الشخصية لا العدوان على العقيدة وفتنة المؤمنين عنها .

فأما في هذا فهو الدفع والمقاومة بكل صورة من صورها أو الصبر حتى يقضي الله أُمرا كان مفعولا .(١)

(ومايلقاها إلا الذين صبروا ومايلقاها إلا ذو حظ عظيم)

تلك مرتبة عالية ومركب صعب أن يقابل الانسان منّا السيئة بالحسنة وهو يتحمل العذاب في سبيل خير الناس ،فهؤلاء صبروا حتى حازوا الحظ العظيم من الجنة ونعيمها.

---

(١) في ظلال القران ـ سيد قطب ـ ٣١٢١/٥ ـ ٣١٢٢ .

* المبحث الثامـــــن :

الصبـــــــــــــر

* الصبـــــر *

الصبر في اللغـــة :

هو : حبس النفس عن الجزع ، وبابه ضرب ، ومنه قوله تعالى:

(واصبر نفسك) (١)

الصبر في الاصطـلاح :

هو : حبس النفس على المكروه وعقل اللسان عن الشكوى، وهـو من أصعب المنازل على العامة ، وأوحشها في طريق المحبـة .(٢)

---

(١) سورة الكهف الاية: ٢٨، انظر مختار الصحاح ـ الرازى ص ٣٥٤ ،٣٥٥.

(٢) مدارج السالكين ـ ابن القيم ١٦١/٢.

إنّ هذه السمة من السّمات التي يجب على الداعية الاتصاف بها في حياته العلمية والعملية والدعوية .

فان الصبر مادخل شيئا الا زانه وماخرج من شيء الا شانه

وتبرز سورة فصلت هذه السمة على أنها كما يجب على الداعية أن يتحلى بها في قوله تعالى :

(ومن أحسن قولا ممّن دعا إلى الله وعمل صالحا ... ومايلقاها الا الذين صبروا ومايلقاها إلا ذو حظ عظيم) (١)

فما يقبل هذه الوصية ـ وهي الدعوة الى الله والدفع بالتي هي أحسن ـ ويعمل بها إلا منصبر على ذلك فانه يشق على النفوس ، (ومايلقاها إلا ذو حظ عظيم) أي ذو نصيب وافر من السعادة في الدنيا والاخرة .

قال ابن عباس :

أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الاساءة . فاذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان وخضع لهم عدو هم كأنه ولي حميم) (٢)

وقال ابن الجوزى :

(ومايلقاها) أى ومايعطاها ، فما يلقى هذه الفعلة وهي دفع السيئة بالحسنة (الا الذين صبروا) على كظم الغيظ ، (ومايلقاها إلا ذو حظ عظيم)

---

(١) سورة فصلت : الاية ٣٣ ـ ٣٥

(٢) تفسير القران العظيم ـ ابن كثير ٤/١٠٠ ـ ١٠١

من الخير ومن الجنة ، والمعنى :

مايلقاها الا من وجبت له الجنة ... (١)

فلابد من أن يتحلى الداعية بهذه الفضيلة وهي صفة الصبر لانه يدعو الناس إلى مايخالف هواهم ، ومخالفة الهوى والانتصار على النفس ليس بالأمر السهل ، ولذا فلابد من تحلّيه بالصبر .

وعلى الداعية أن يتحلىٰ بالصبر على طلبه للعلم)وعلى تطبيقه ذلك العلم علىٰ نفسه)كما عليه التحلّي بالصبر في دعوته من ناحيتين:

أ ـ الصبر على المدعو :

فلايستعجل الداعيةّ في عرض الدعوة بل يختار الوقت والظرف المناسبين لعرض الدعوة ويراعي ارتياح المدعو نفسيا وتقبّله لسماع تلك الدعوة وارتياحه للداعية . فإنّ هذه العوامل مدعاة للاستجابة للدعوة .

وإذا عرض الداعية دعوته على المدعو بعد مراعاته لهذه الظروف والعوامل ،

فلا يستعجل عليه ويأخذه بشدّه ويطالبه بالاستجابةّ بالقوة لا ، وكلا ؟

وإنّما يرفق به وعليه)ويمهله ليفكر في هذا الجديد . كما أنّ مهمة الداعية هي عرض الدعوة بأسلوب حسن وحكيم وليس من واجبه)أو من مهماته تحقّق الاستجابة ، فإن هذه الدرجة لم تحصل

---

(١) زاد المسير ـ ابن الجوزى ـ ٢٥٨/٧.

للانبياء والمرسلين . فكيف بالداعية البشري ، (فإنما عليك البلاغ) (١) ، (وما على الرسول الا البلاغ المبين) (٢)

(إنك لاتهدى من أحببت ولكنّ الله يهدي من يشاء...) (٣)

فمهمة الداعية تنحصر في هداية الدلالة والارشاد ، وأما هداية التوفيق والالهام فهي ممّا يختصّ به الله سبحانه وتعالى .

ويبين الداعية للمدعو أنّ واجبه قد انتهى عند هذا الحدّ وأنّ المسئولية والتبعة قد قامت عليه فيتحمل وزرها إن رفض الاستجابة ، فيرغّبه ويرهبه بما يناسب الموقف والحال .

ب ـ الصبر على الدعوة :

ويندرج تحت هذا العنوان أمران :

(١) الصبر على طول الطريق

فطريق الدعوة طويل وشاق ومتعب ، فمنذ أن يشعّ الايمان في قلب المرء ويرزقه الله شيئامن العلم فانه مكلف بالدعوة وحمل الامانة (إنّا عرضنا الأمانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان إنّه كان ظلوما جهولا) (٤)

فمنذ أن كان يكلف الانسان شرعا بواجبات الاسلام إلى أن يموت وهو مكلف بالدعوة في حدود قدرته واستطاعته ، ولنا في رسل الله

---

(١) سورة ال عمران الاية : ٢٠

(٢) سورة النور الاية : ٥٤

(٣) سورة القصص الاية : ٥٦

(٤) سورة الاحزاب الاية : ٠٧٢

الأسوة الحسنة ، فلقد مكث نبي الله نوح عليه السلام ألف سنة إلا خمسين عاما يبلغ قومه وينذرهم ويبشرهم ويدعو الى الله وكذا بقية الرسل فقد وهبوا حياتهم لله سبحانه ...وهبوا حياتهم وباعوها رخيصة من أجل الدعوة إلى هذا الدين القويم وكذا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مكث مع قومه ثلاثا وعشرين عاما يدعوهم إلى الله تعالى .

وحري بالداعية أن يضع نصب عينيه قوله تعالى :

(قل إنّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين (١)

فالانبياء من الدعاة ، علمو ا ان طريق الدعوة طويل وشاق فيحتاج الي صبر وجلد وتفان وتضحية .

(٢) الصبر على مصاعب الدعوة :

فالداعية ربّما يحصل له في طريقه في دعوته بعض المصاعب والمشاكل وبعض الاذى . فلابد من صبره وتحمله فعلى قدر دين العبد وإيمانه يبتلى ويمتحن .

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال :

(قلت يارسول الله أيّ النّاس أشد بلاء؟ قال :

الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل من النّاس ، يبتلى الرجل على حسب دينه ،فان كان في دينه صلابه زيد في بلائه ، وإن كان في دينه رقّة خفت عنه ،ومايزال البلاء بالعبد حتى يمشي على الارض وليس عليه خطيئة) (٢)

---

(١) سورة الانعام الاية : ١٦٢ ، ١٦٣ . (٢) اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح في كتاب الزهد باب ماجاء في الصبرعلى البلاء ٤/٥٨٥رقم٢٣٩٨.

وان حصول شيء من المصاعب والاذى في طريق الدعوة من السنن الكونية ولقد تعرض لمثل هذا الامر الانبياء والرسل وهم أشرف الخلق واكرمهم عند الله بل هم المؤيدون والمرسلون من الله ليبلغوا عنه ومع ذلك حصل لهم الكثير من الاذى .

فلقد تعرض بعضهم للتهديد والوعيد الشديد ، بل لقد تمت مقاطعة اجتماعية لبعضهم بسبب الدعوة . بل لقد قامت حروب عديدة بين النبي ومن آمن معه من جهة وبين بقية القوم من جهة أخرى، بل لقد قتل بعض الأنبياء في سبيل القيام بالدعوة ولكن الأجر عظيم والخير جزيل للصابر على هذا المشوار الطويل الشاق ، فإنما هي مسئولية وأمانة . فمن قام بها حق القيام أجر، وكان جزاؤه النعيم المقيم.

ولقد حصل كثير من الأذى للدعاة قديما وحديثا من الصحابة والتابعين وسلف هذه الامة ومن الدعاة في هذا العصر وماقبله.

فلقد روى خبّاب بن الأرتّ رضي الله عنه قال : شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا: ألا تستنصر لنا ، ألا تدعو لنا ؟ فقال : قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الارض ، فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد مادون لحمه وعظمه ، مايصده ذلك عن دينه والله ليتمنّ الله هذا الأمر حتي يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لايخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون) (١)

---

(١) اخرجه البخاري ـ كتاب فضائل اصحاب النبي ـ باب مالقي النبي واصحابه بمكه ١٦٤/٧ رقم ٣٨٥٢ وأبو داود ـ كتاب الجهاد باب في الاسير يكره على الكفر ٤٧/٣ رقم٢٦٤٩ والنسائي في كتاب الزينة ، باب لبس البرود ٢٠٤/٨ ط دار الكتاب العربي بيروت

والتواصي بالصبر ضرورة ، فالقيام على الايمان والعمل الصالح ، وحراسة الحق والعدل من أعسر مايواجه الفرد والجماعة . ولابدّ من الصبر على جهاد النفس وجهاد الغير، والصبر على الأذى والمشقة والصبر على تبجّح الباطل وتنفج الشرّ ، والصبر على طول الطريق وبطء المراحل وانطماس المعالم وبعد النهاية . (١)

---

(١) في ظلال القرآن ـ سيد قطب ٣٩٦٨/٦.

* أنواع الصبـــر :

للصبر تقسيمات باعتبار وجوه متعددة، منها :

(١): الصبر على الطاعة فأساسه أنّ أركان الاسلام تحتاج للقيام بها والمداومة عليها إلى تحمّل ومعاناة.

فالصلاة مثلا فريضة متكررة يقول الله فيها (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها.....) (١)

ويقول تعالى : (استعينوا بالصبر والصلاة وإنّها لكبيرة إلاّ على الخاشعين) (٢)

وعشرة المؤمنين والابقاء على مودتهم والاغضاء عن هفواتهم خصال تعتمد على الصبر الجميل (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشيّ يريدون وجهه ....) (٣)

والتواصي بالصبر قرين بالتواصي بالحق ، وقد أقسم الله عز وجل على: أنّ فلاح البشر منوط بها. (والعصر إنّ الانسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) (٤)

(٢) الصبر عن المعاصي :

وهو عنصر المقاومة للمغريات التي بثّت في طريق الناس ، وزينت لهم اقتراف المآثم المحظوره.

---

(١) سورة طه الاية : ٣

(٢) سورة البقرة الاية : ٤٥

(٣) سورة الكهف الاية : ٢٨

(٤) سورة العصر بكاملها.

قال صلى الله عليه وسلم (حفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات ٠) (١)

والاقبال على المكاره والادبار عن الشهوات لايتأتي الا بصبور والصبر هذا اثر اليقين الحاسم والاتجاه الحازم الى مايرضي الله ٠٠٠٠وهو روح العفاف الذى يحمي الموءمن او ضار الدنيا ومكر السيئات (ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين) (٢)

(٣) الصبر على النوازل :

وهناك الصبر على مايصيب الموءمن في نفسه أو ماله أومنزلته أو أهله وتلك كلها أعراض متوقعة ، وهيهات أن تخلو الحياة منها٠ وإذا لم يصب أحد بسيلها العام ضربه رشاشها المتناثر ٠

على أن المسلم إذا احتمى بالله ولجأ إليه فلّ حدّ الحوادث حزّ ها في بدنه٠ (ولنبلونكم بشي ء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشّر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة ٠ قالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون ٠٠٠٠ أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ٠) (٣)

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها واهلها ٢١٧٤/٤ رقم ٠٢٨٢٢

(٢) سورة الاعراف الاية : ٠١٢٩

(٣) سور ة البقرة الاية : ١٥٤- ١٥٧ انظر خلق المسلم - الغزالي ١٦٧ - ٠١٧٠

ثانيا : الصبر ثلاثة أنواع :

(١) الصبر بالله .

وهو الاستعانة بالله ورؤيته انه هو المصبِّر وأنّصبر العبد بربه لابنفسه كما قال تعالى :

(واصبر وماصبرك إلا بالله .....) (١)

يعني إن لم يصبرك هو لم تصبر .

(٢) الصبر لله . وهو أن يكون الباعث له على الصبر محبّةَ الله ، وإرادة وجهه والتقرّب إليه . لالإظهار قوة النفس ، والاستحماد إلى الخلق وغير ذلك من الأغراض .

(٣) الصبر مع الله وهو دوران العبد مع مراد الله الديني منه ومع أحكامه الدينية . صابرا نفسه معها سائرا بسيرها مقيما بإقامتها . يتوجه معها أين توجهت ركائبُها وينزل معها أين استقلت مضاربها .

فهذا يعني كونه صابرا مع الله أي قد جعل نفسه وقفا على أوامره ومحابه وهو أشّد أنواع الصبر وأصعبها . وهو صبر الصديقين.

قال الجنيد :

المسير منه الدنيا إلى الآخرة سهل هيّن على المؤمن وهجران الخلق في جنب الله شديد ، والمسير من النفس إلى الله صعب شديد والصبر مع الله أشّد.

---

(١) سورة النحل : الاية : ١٢٧.

وسئل عن الصبر ، فقال : تجرّع المرارة من غير تعبس .

وقيل : الصبر : الوقوف مع البلاء بحسن الادب .

وقيل : الصبر : هو الثبات على أحكام الكتاب والسنة . (١)

* * الصبر في القرآن

أولا : الصبر منفردا (١) أمر القرآن به

(يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا .....) (٢)

(واصبر وماصبرك إلا بالله .....) (٣)

(٢) نهى عن ضدّه (ولاتهنوا ولاتحزنوا ....) (٤)

فالوهن من عدم الصبر ، والجزع ضدّ الصبر .

(٣) الثناء على أهله (والصابرين في البأساء والضرّاء وحين البأس . أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) (٥)

(٤) محبّة للصابرين (والله يحبّ الصابرين) (٦)

(٥) معيتة للصابرين . وهي معيّة نصر وتكريم وتأييد وحفظ . معية خاصة ، فضلا عن المعية العامة للكل والتي هي معية الاحاطة ، والعلم، فإنها تكون للصابرين وغيرهم .

(و اصبروا إنّ الله مع الصابرين) (٧)

(٦) الصبر خير لأصحابه (ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) (٨)

(٧) جزاؤهم أوفى وأعلى وأحسن من أعمالهم (ولنجزينّ الذين صبروا أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون) (٩) (إنّما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) (١٠)

(٨) البشارة والنصر والمدد للصابرين (وبشّر الصابرين) (١١)

---

(١) مدارج السالكين - ابن القيم ١٥٧/٢ - ١٥٨.

=

(٢) سورة آل عمران الايه : ٢٠٠

(٣) سورة النحل : الاية : ١٢٧

(٤) سورة ال عمران الاية : ١٣٩

(٥) سورة البقرة الاية : ١٧٧

(٦) سورة ال عمران الاية : ١٤٦

(٧) سورة الانفال الاية : ٤٦

(٨) سورة النحل : الاية : ١٢٦

(٩) سورة النحل الاية : ٩٦

(١٠) سورة الزمر الاية : ١٠

(١١) سورة البقرة : ١٥٥

(بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة مسومين) (١)

(٩) جزاؤهم الجنة (وجزاؤهم بما صبروا جنة وحريرا) (٢)

(١٠) جمع لهم الهدىٰ والرحمة والصلوات.

(أُولئك عليهم صلوات من ربّهم ورحمة وأُولئك هم المهتدون) (٣)

ثانيا : الصبر مقترنا:

قرن الله الصبر في القرآن بقيم روحية عليا في الاسلام، ومنها ما يأتي :-

(١) اقترانه باليقين.

(وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لمّا صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) (٤)

(٢) اقترانه بالتوكل :

(فنعم أجر العاملين. الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون) (٥)

(٣) اقترانه بالصلاة :

(واستعينوا بالصبر والصلاة) (٦)

(٤) اقترانه بالتقوى :

(وإن تصبروا وتتّقوا فإنّ ذلك من عزم الأُمور) (٧)

---

(١) سورة ال عمران : الاية : ١٢٥ (٢) سورة الانسان الاية : ١٢.

(٣) سورة البقرة الاية: ١٥٧ (٤) سورة السجده الاية : ٢٤.

(٥) سورة العنكبوت ٥٨ ٥٩ (٦) سورة البقرة ١٥٣ (٧) سورة العمران ١٨٦.

(٥) إقترانه بالعمل :

(إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير) (١)

(٦) إقترانه بالجهاد :

(ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم ونعلم الصابرين) (٢)

(٧) إقترانه بالتسبيح :

(واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وسبّح بحمد ربك حين تقوم..) (٣)

(٨) إقترانه بالاستغفار :

(فاصبر إنّ وعد الله حقّ واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار) (٤)

(٩) إقترانه بالحق :

(والعصر إنّ الانسان لفي خسر . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) (٥)

(١٠) اقترانه بالرحمة :

(.. ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة) (٦)

(١١) اقترانه بالشكر :

(إنّ في ذلك لآيات لكل صبّار شكور) (٧)

---

(١) سورة هود الاية : ١١ (٢) سورة محمد الاية : ٣١ (٣) سور الطور الاية : ٤٨
(٤) سورة غافر الاية : ٥٥ (٥) سورة العصر بكاملها . (٦) سورة البلد اية ١٧
(٧) سورة ابراهيم الاية : ٥ ، وسورة سبأ الاية : ١٩ وسورة لقمان اية ٣١ ، وسورة الشورى اية ٣٣ ـ انظر الصبر في القران د.محمود الشريف ٢١ـ٣٢ بتصرف.

* الصبر في السنـــــة :

ورد الصبر في كثير من الاحاديث النبوية ، ومن هذه الاحاديث مايأتي :

(١) عن ابي مالك الحارث بن عاصم الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الطهور شطر الايمـــان والحمد لله تملأ مابين السموات والارض والصلاة نور، والصدقـــة برهان ، والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك . كل النـــاس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها) (١)

(٢) وعن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري رضي الله عنـــهما أن أناسا من الأنصار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلـــم فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم حتى نفذ ماعنده ، فقال لهم حيـــن أنفقت كل شيء بيده : مايكن عندى من خير فلن أدخره عنكـــم ومن يستعفف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله ومن يتصبـــر يصبّره الله وماأعطي أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر) (٢)

(٣) وعن صهيب بن سنان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلـــي الله عليه وسلم : عجبا لأمر المؤمن إنّ أمره كلّه له خير وليس ذلك لأحد إلاّ للمؤمن : إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له . (٣)

---

(١) اخرجه مسلم في كتاب الطهاره باب فضل الوضوء ١/٢٠٣ رقم ٠٢٢٣

(٢) رواه مسلم في كتاب الزكاة باب فضل التعفف والصبر ٢/٧٢٩ رقم ٠١٠٥٣

(٣) اخرجه مسلم في كتاب الزهد باب المؤمن امره كله خير ٤/٢٢٩٥ رقم ٢٩٩٩

(٤) وعن ابي هريره رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

يقول الله تعالى : (مالعبدى الموءمن عندى جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الجنة (١)

(٥) وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال كأني أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي نبيّا من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عنوجهه ويقول : اللهم اغفر لقومي فإنهم لايعلمون ٠) (٢)

(٦) وعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : مايصيب المسلم من نصب-أي تعب - ولا وصب -أي مرض- ولاحزن ولا أذىً ولا غمّ حتى الشوكة يشاكها إلا كفّر الله بها من خطاياه ٠(٣)

(٧) وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ليس الشديد بالصرعة إنّما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب (٤)

---

(١) اخرجه البخاري في كتاب الرقاق باب العمل الذى يبتغي به وجه الله ٢٤١/١١ رقم ٠٦٤٢٤

(٢) رواه البخاري في كتابة استتابة المرتدين باب اذا عرض الذمي وغيره بسبب النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصرح٢٤٩/١٢ ورواه مسلم في كتاب الجهادو السير باب غزوة أحد ١٤١٧/٣ رقم ٠١٧٩٢/٣ (٣) اخرجه البخارى في كتاب المرض باب ماجاء في كفارة المرض ٩١/١٠ومسلم في كتاب البر والصله والاداب ١٩٩٢/٤ رقم ٢٥٧٣

(٤) روا ه البخارى في كتاب الاداب باب الحذر من الغضب ٤٣١/١٠ ومسلم في كتاب البر والصله والاداب باب فضل من يملك نفسه عند الغضب ٢٠١٤/٤ رقم ٠٢٦٠٩ انظر رياض الصالحين - النووى من ص ٢٤ - ٠٣٨

* المبحث التاسع :

الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم

الاستعاذه بالله من الشيطان الرجيم:

لقد جعل الله لابليس وقبيله فرصة الاغواء وجعل لادَم وذريته فرصة الاختيار تحقيقا للابتلاء الذى قضت مشيئة الله أن تأخذ به الانسان وتجعله به خلقا متفردا في خصائصه لاهو ملك ولاهو شيطان.

إنّ إبليس قد أعلن على الانسان حربا تنبثق من طبيعة الشر والكبر والحسد وقد طلب إذناً من ربه بخوض هذه المعركة فأذن له لحكمة يعلمها ولكنه لم يترك الانسان دون عدة بل جعل له مأمنا يقية الأذى وجنّة تردّ عنه الكيد .

فالاستعاذة : بمعنى الالتجاء إلى الله والالتصاق بجنابه من شر كل ذى شر. والعياذة تكون لدفع الشر. والعياذة تكون لطلب جلب الخير. وتمضي السوره تبين ما يجب على الداعية أن يتصف به وأن يتحصن به .

قال تعالى :

(وإمّا ينزغنّك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنّه هو السميع العليم)(١)

فيلجأ الداعية إلى الله في كل حين ويتضرع إليه ويذل تحت جنابه ، سبحانه ولاسيما حينما ينزغ الشيطان بينه وبين دعوته ، فيوسوس له ، ويعرض عليه صدرا تخذله عن الطريق الذى سلكه وتجعله يتقاعس عن حمل الدعوة .

---

(١) سورة فصلت الاية : ٣٦.

فيدخل الشيطان على الداعية من مداخل متعددة:

منها : أن يوسوس عليه ، ويهوّل له طول الطريق الذى سلكه ومتى سيصل اليه الداعيه بل ان الانبياء والمرسلين ماتوا ولم يصلوا اليه. فلم يوءمن بهم كل الخلق. بل ماتوا والناس فريقان. موءمن وكافر.

ومنها : أن يخوّفه من المشكلات التي ستحصل له سواء كانت مشكلات على مستوى فردى. أم على مستوى أسري وعائلي، أم على مستوى قبلي وهكذا وأنه سيتعرض لصعوبات كثيرة.

ومنها : أن يذكره بأنه إذا سلك هذا الطريق سيبتعد عن ماله وحلاله وسينشاغل عن أهله وزوجه، وفي هذا مخاطر عليه وعلى أهله وماله.

ومنها : أن يلبّس عليه فيقول : الفساد عظيم وكبير، وماستفعله أنت لن يغيّر في هذا الفساد الكبير، فيجعله يتقاعس عن الدعوة.

والصور، والأمثلة في هذا المجال كبيرة ومتعددة:

فبالتالي متي ماأحس الداعية بضعف أو تردّد في عزيمته فليستعذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم وليجدّد النشاط فإن هذا الطريق هو الطريق الذى رضي الله عن أهله وجعل كلامهم وقولهم أحسن الكلام والقول وفضّلهم على غيرهم وجعل مآلهم إلى جنات النعيم.

قال ابن كثير : في تفسير هذه الاية:

(لقد ورد في معنى الاستعاذة ثلاث آيات ليس لهن رابعة وهن ما يأتي:

قال تعالى : (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين . وإمّا ينزغنّك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنّه هو السميع العليم) (١)

---

(١) سورة الاعراف الاية: ١٩٩ ، ٢٠٠.

فالله سبحانه وتعالى يأمر بمصانعة العدو الإنسي والاحسان إليه ليردّه عنه طبعه الاصل إلى الموالاة والمصافاة، ويأمر بالاستعاذة به من العدو الشيطاني الذى لايقبل مصانعة ولا إحسانا ولا يبتغي غير هلاك ابن ادم لشدة العداوة بينه وبين أبيه آدم من قبل .

كما قال تعالى : (يابني آدم لايفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة .....) (١) وقال تعالى (ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) (٢)
وقال تعالى : (أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا) (٣)

وقد اقسم للوالد عليه السلام انه له لمن الناصحين وكذب فكيف بمعاملته لنا وقد

قال تعالى (فبعزتك لاغوينهم أجمعين . إلا عبادك منهم المخلصين) (٤)

وقال تعالى : (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم . إنّه ليس له سلطان على الذين آمنوا وكانوا يتوكلون إنّما سلطانه على الذين يتولونه ، والذين هم به مشركون .) (٥)

ومعنى : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : أى استجير بجناب الله من الشيطان الرجيم أن يضرني في ديني أو دنياي أو يصدني عن فعل ما أمرت به أو يحثني على فعل مانهيت عنه ، فإنّ الشيطان لايكفّه عن الانسان إلا الله .

---

(١) سورة الاعراف الاية : ٢٧ (٢) سورة فاطر الاية : ٦
(٣) سورة الكهف الاية : ٥٠ (٤) سورة ص الاية : ٨٢ ، ٨٣
(٥) سورة النمل الاية : ٩٨ - ١٠٠

والشيطان في لغة العرب : مشتق من شطن ، إذا بعد ، فهـــو بعيد بطبعه عن طباع البشر وبعيد بنسقه عن كل خير .

وقيل مشتق من شاط لأنّه مخلوق من نار ، ومنهم من يقول : كلاهما صحيح في المعنى ولكن الاول اصح.

قال سيبويه : العرب تقول : تشيطن فلان إذا فعل فعل الشياطين ولو كان من شاط لقالوا تشيط . (١)

والشياطين حريصة على ضرر ابن ادم.

عن ابن عباس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: الشيطان جاثم على قلب ابن ادم ، فاذا ذكر الله تعالى خنـــس واذا غفل وسوس) (٢)

وعن عياض بن حمار رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (.... اني خلقت عبادى حنفاء فاجتالتهم الشياطين..) (٣)

ان الاسلام لايعرف ارادة معاندة في الكون لارادة الله ، يكون في اثرها ان تنازعه الامر وتشاركه في المشيئة ، وتضع في الكـــون اصلا من اصول الشر وتسقط الخلائق التي ارتفعت سوية بمشيئة الخالـــق سبحانه .

فقد جاء الاسلام بهذه الخطوة العظمى في أطوار الأديان ، فقرّر في مسألة الخير والشر والحساب والثواب أصح العقائد التي يديـــن بها ضمير الانسان وقوام ذلك عقيدتا:

---

(١) تفسير القران العظيم ـ ابن كثير ـ ١٢/١-١٦ بتصرف.

(٢)

(٣) اخرجه مسلم في كتاب ـ الجنة وصفة نعيمها واهلها ـ باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا اهل الجنة واهل النار ٤/٢١٩٧ رقم ٢٨٦٥

أ ـ وحدة الارادة الالهية في الكون .

ب ـ ملازمة التبعة لعمل العامل دون واسطة اخرى بين العامل وبين ضميره وربه .

فليست الخطيئة في الاسلام أصلا كونيا يعاند الارادة الالهية ، بارادة قبلها او مقاسمة لها في اقطار الوجود العلوى والسفلي ، ولكنها اختلاس وتقصير وخلل ، وله علاجه من عمل العامل نفسه بالتوبة والهداية أو بالتكفير والجزاء ، ولما كانت فضيلة آدم على الملائكة والجن أنّه تعلم الأسماء التي لم يتعلموها كانت هدايته الى التوبه كذلك بكلمات في المعرفة الالهية ، ولم تكن بشيء غير عمله وقوله . (١)

فالغضب قد ينزف . وقد يلقي في الروع قلة الصبر على الاساءة أو ضيق الصدر عن السماحة .

فالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم حينئذ وقاية تدفع محاولاته لاستغلال الغضب والنفاذ من ثغرته . ان خالفت هذا القلب البشرى ، الذى يعرفمداخله ومساربه ويعرف طاقته واستعداده ، ويعرف من اين يدخل الشيطان اليه . يحوط قلب الداعية الى الله من نزغات الغضب أو نزغات الشيطان مما يلقاه في طريقه مما يثير غضب الحليم .

انه طريق شاق، طريق السير في مسارب النفس ودروبها وأشواكها وشعابها ، حتى يبلغ الداعية منها موضع التوجيه ونقطة القياد . (٢)

---

(١) ابليس ـ عباس العقاد ص ١١١

(٢) في ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ ٣١٢٢/٥.

* الخاتمـــــــــــــــــــــــــــــــة

الخاتمـــــــــة :

أحمد الله سبحانه وأشكره على اعانته وتوفيقه. وأسبح من بنعمته تتم الصالحات الذي أسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة ، ووفقنـــــي إلى إنجاز هذا البحث والذي من خلاله استطعت :

(١) تسليط الضوء على القضايا الدعوية في السورة واستنباط الدروس منها واستقيت من السورة أمورا هي :

أ ـ تجلية الأساليب التي يمكن للداعية أن يتبعها .

ب ـ بيان المجالات التي يمكن للداعية أن يعمل خلالها.

جـ ـ إبراز السمات الرئيسية التي يجب على الداعية أن يتصف بها.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجه الكريم .

وأن يجعل خير أعمالنا خواتيمها وخير أيامنا يوم لقاه . إنـــه ولي ذلك والقادر عليه.

وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

الباحـــــــث

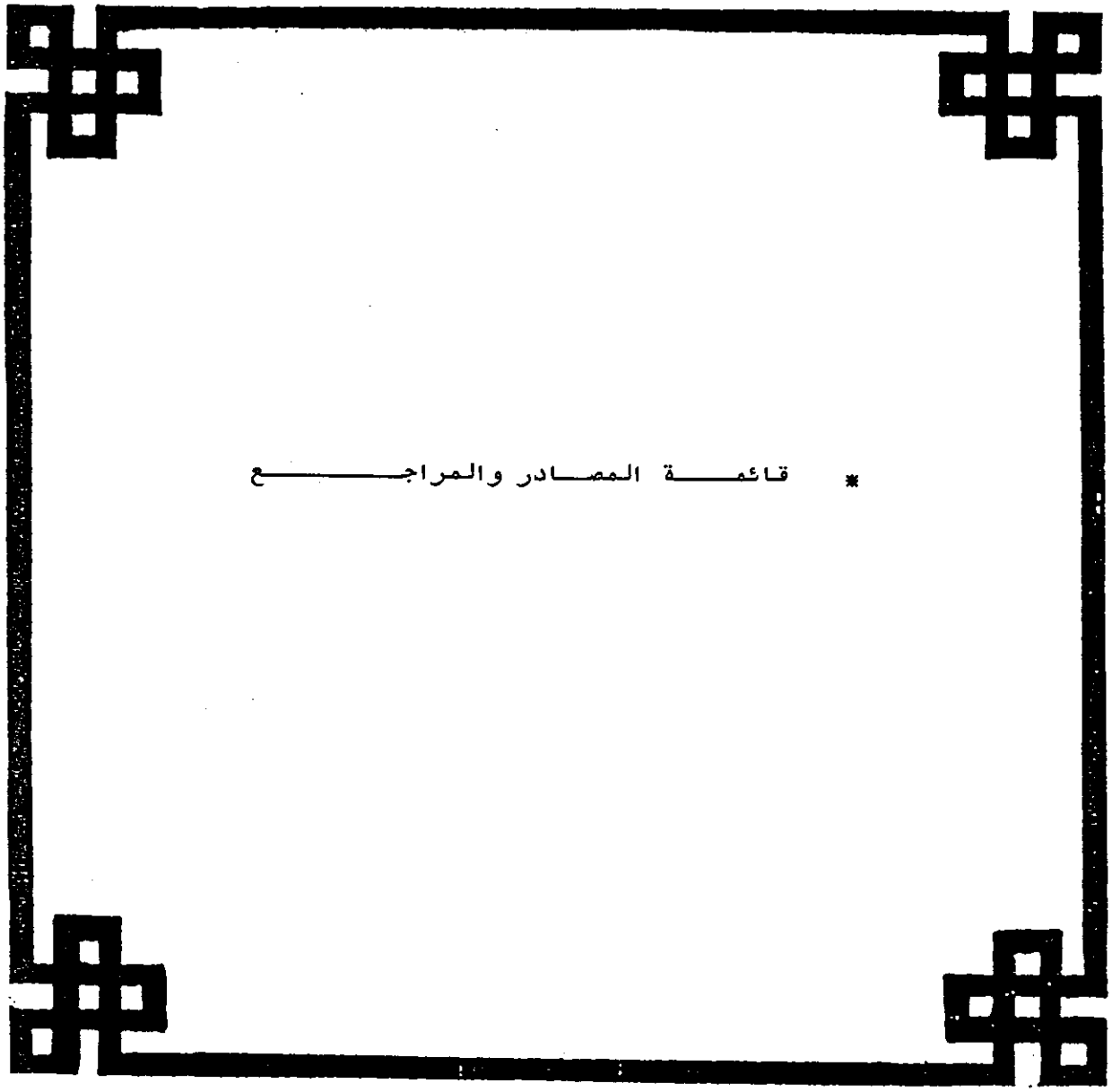

* قائمة المصادر والمراجع

(أ)

القرآن الكريم

(١) ابليس ـ عباس محمود العقاد ط ٥ دار نهظة مصر

(٢) الاتقان في علوم القرآن ـ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ط ٣ البابي الحلبي بمصر ١٣٧٠هـ.

(٣) ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم ـ تفسير ابي السعود ط دار الفكر .

(٤) أساس البلاغة ـ جارالله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشرى . ط ٢ دار الكتبب ١٩٧٢م.

٥) أسس الدعوة وآداب الدعاة ـ محمد السيد الوكيل . ط مطابع الأخبار القاهرة.

(٦) أصول الدعوة ـ د. عبد الكريم زيدان ط مكتبة المنار الاسلامية ١٤٠١هـ.

(٧) إيجاز البيان في سور القرآن ـ محمد على الصابوني ط ٢ مكتبة الغزالي ١٣٩٩هـ.

(٨) الايمان بالله ـ محمد حسن الحمصي ـ ط دار الرشيد . دمشق .

(ب)

(٩) بحث الموءتمر العالمي لتوجيه الدعوه واعداد الداعاة ـ الجامعة الاسلامية ـ المدينة المنورة . ١٣٩٧هـ.

(١٠) البداية والنهاية ـ الحافظ أبو الفدا اسماعيل بن كثير الدمشقي ط ٤ مكتبة المعارف ـ بيروت ـ ١٤٠١هـ.

(ت)

(١١) تاج العروس من جواهر القاموس ـ محمد مرتضي الزبيدى ـ ط دار مكتبة الحياة ـ بيروت .

(١٢) تاريخ الدعوة الاسلامية من الامس الى اليوم ـ آدم عبدالله الألورى ط دار مكتبة الحياة ـ بيروت .

(١٣) التبصرة ـ مكيّ بن أبي طالب ـ ط الدار السلفيه ـ الهند.

(١٤) التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار ـ عبد الرحمن بن رجب الحنبلي . ط دار البيان ـ دمشق ١٣٩٩هـ.

(١٥) تذكرة الدعاة ـ البهي الخولي . ط ٥ ـ دار القلم ـ دمشق ١٣٩٧هـ.

(١٦) تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ أبو الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي . ط دار المعرفة ـ بيروت . ١٣٨٨هـ.

(١٧) التفسير الكبير ـ الفخر الرازى ـ ط ٢ دار الكتب العلمية طهران .

(١٨) التفسير الواضح ـ د. محمد محمود حجازى . ط ٤ مطبعة الاستقلال الكبرى ـ القاهرة ١٣٨٨هـ.

(١٩) التقوى صلاح الدين ماردينى . ط المكتب الاسلامي ـ دمشق ١٤٠٠هـ.

(٢٠) تيسير الكريم الرحمن في تفسير السلام المنان ـ عبد الرحمن بن ناصر السعدى ـ تحقيق ـ محمد زهرى النجار ـ ط المؤسسة السعيدية ـ الرياض .

(ج)

(٢١) جامع الأصول في أحاديث الرسول ـ محمد بن الاثير الجزرى ـ تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ـ ط مطبعة الملاح ١٣٨٩هـ.

(٢٢) جامع البيان في تفسير القرآن ـ محمد بن جرير الطبرى . ط ٤ دار المعرفة . بيروت ١٤٠٠هـ.

(٢٣) جامع العلوم والحكم ـ أحمد بن رجب الحنبلي ـ توزيع دار الافتاء بالسعودية.

(٢٤) الجامع الحكام القرآن ـ محمد بن أحمد القرطبي ـ ط دار احياء التراث العربي . بيروت .

(٢٥) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ـ أحمد بن عبد الحليم ابن تيميه . ط مطابع المجد التجارية.

(ح)

(٢٦) حادي الأرواح الى بلاد الأفراح ـ محمد بن أبي بكر بن القيم ـ ط دار الكتب العلمية . بيروت .

(٢٧) حياة الصحابة ـ محمد يوسف الكاندهلوى ط ١٣٨٨هـ.

(خ)

(٢٨) خلق المسلم ـ محمد الغزالي ـ ط دار البيان . الكويت ١٣٩٠هـ.

(٢٩) دعوة الاسلام ـ سيد سابق . ط دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٩٧٣م.

(٣٠) الدعوة الاسلاميه ، أصولها ووسائلها ـ د. أحمد أحمد غلوش . ط دار الكتاب المصرى . القاهرة ١٩٨٧م.

(٣١) الدعوة الاسلامية ، مفهومها وحاجة المجتمعات اليها ـ محمد خير رمضان يوسف ط ١ مطابع الفرزدق التجارية . الرياض ١٤٠٧هـ.

(٣٢) الدعوة الاسلامية ،دعوة عالمية ، د. محمد الراوى . ط دار العربية بيروت .

(٣٣) الدعوة الى الاصلاح ـ محمد الخضر حسين . ط المطبعة السلفيه القاهره ١٣٤٦هـ.

(٣٤) الدعوة الى الله ،الرسالة والوسيلة والهدف ـ د. توفيق الواعي ط ١ مكتبة الفلاح الكويت ١٤٠٦هـ.

(٣٥) الدعوة الى الله في سورة ابراهيم الخيل ـ محمد بن سيدى بن الحبيب ـ ط ١ دار الوفاء ـ جده ـ ١٤٠٦هـ.

(٣٦) الدعوة الى الله وأخلاق الدعاة ـ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ط ١ الدار السلفيه الكويت ١٤٠٤هـ.

(٣٧) الدعوة والانسان ـ د. عبد الله الشاذلي . ط المكتبة القومية طنطا.

(٣٨) الدعوة والداعية في ضوء سورة الفرقان ـ محمد سعيد البارودى ـ ط ١ دار الوفاء ـ جده ١٤٠٧هـ.

(٣٩) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ـ محمد بن علان الصديقي الشافعي ـ ط المكتبة العلمية ـ بيروت ١٤٠٢هـ.

(ر)

(٤٠) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم ـ شهاب الدين السيد محمود الألوسي ـ ط دار الفكر ـ بيروت ١٤٠٣هـ.

(٤١) رياض الصالحين ـ يحيى بن شرف النووى ـ تحقيق ـ عبد العزيز رباح وأحمد الدقاق . ط ٤ دار المأمون ـ دمشق ١٤٠١هـ.

(ز)

(٤٢) زاد المسير في علم التفسير ـ أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى ط المكتب الاسلامي ـ دمشق .

(س)

(٤٣) سنن ابن ماجه ـ ترقيم وتعليق محمد فوءاد عبد الباقي ط دار احياء التراث العربي . بيروت .

(٤٤) سنن أبي داود ـ تحقيق وتعليق محمد محي الدين عبد الحميد ـ ط دار الفكر ـ بيروت .

(٤٥) سنن الترمذى ـ تعليق وتحقيق العلامه أحمد شاكر ط البابي الحلبي القاهرة .

(٤٦) سنن الدارمي ـ ط دار الكتب العلمية ـ بيروت .

(٤٧) سنن النسائي بحاشية السندىوالسيوطي ـ ط دار الكتاب العربي بيروت

(٤٨) السيرة النبوية ـ ابن هشام تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الابيارى وعبد الحفيظ شلبي ط دار احياء التراث العربي . بيروت .

(ش)

(٤٩) شوءم المعصية وبركة التقوى ـ أحمد عز الدين البيانوني ٠ ط ٢ دار السلام ـ القاهرة ١٤٠٦هـ٠

(٥٠) شرح العقيدة الطحاوية ـ ابن أبي العز الحنفي ٠ ط المكتب الاسلامي ٠

(٥١) الشريعة ـ محمد بن الحسين الآجرّى ـ تحقيق محمد حامد الفقي ط ١ دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٠٣هـ٠

(ص)

(٥٢) الصبر في القرآ ن ـ د٠ محمود بن الشريف ٠ ط ١ شركة مكتبات عكاظ ـ جده ١٤٠٤هـ٠

(٥٣) صحيح الامام مسلم ـ تحقيق وتعليق محمد فوءاد عبد الباقي ـ ط دار احياء التراث العربي ـ بيروت ـ ١٤٠٠هـ٠

(٥٤) صفات الداعية النفسيه ـ عبد الله ناصح علوان ـ ط دار السلام القاهرة ١٤٠٥هـ٠

(ع)

(٥٥) العقائد الاسلامية ـ سيد سابق ط دار الكتاب العربي ـ بيروت ٠

(٥٦) العقيدة الاسلامية وأسسها ـ عبد الرحمن حسن حبنكه الميداني ط دار القلم ـ دمشق ١٣٩٩هـ٠

(٥٧) عقيدة الموءمن ـ لابي بكر جابر الجزائرى ـ ط ٢ مكتبة الكليات الازهرية بمصر ١٣٩٨هـ٠

(٥٨) عمدة القارى شرح صحيح البخارى ـ بدر الدين محمود بن أحمد العيني ـ ط دار احياء التراث العربي ٠

تابع (ع)

(٥٩) العمل الصالح ـ أحمد عز الدين البيانوني. ط مكتبة الهدى حلب ١٣٩٧هـ.

(ف)

(٦٠) فتح الباري ـ احمد بن علي بن حجر العسقلاني ـ تحقيق عبد العزيز ابن عبد الله بن باز ـ ط مكتبة الرياض الحديثه ـ الرياض .

(٦١) فتح القدير ـ محمد بن على الشوكاني ـ ط دار الفكر .

(٦٢) في ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ ط دار الشروق ـ بيروت ـ ١٣٩٨هـ.

(ق)

(٦٣) القاموس المحيط ـ محمد بن يعقوب الفيروز آبادى . ط الموسسة العربية ـ بيروت .

(ك)

(٦٤) الكافيه الشافيه في الانتصار للفرقة الناجيه لابن القيم ـ أحمد ابن ابراهيم بن عيسى ـ تحقيق زهير الشاويش ط ٣ المكتب الاسلامي بيروت ١٤٠٦هـ.

(٦٥) كتاب الاربعين في اصول الدين ـ الرازى ـ ط مطبعة مجلس دائرة المعارف ـ العثمانية ـ حيدر اباد . ١٣٥٣هـ.

(٦٦) كنز العمال ـ حسام الدين المتقي الهندى ط موءسسة الرسالة ـ بيروت .

(٦٧) كيف ندعو الناس ـ عبد البديع صقر ط ٦ المكتب الاسلامي ـ بيروت ١٣٩٧هـ.

(ل)

(٦٨) لباب التأويل في معاني التنزيل ـ علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم الخازن ـ ط دار الفكر بيروت ٠

(٦٩) لسان العرب ـ جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصرى ط دار صادر ـ بيروت ٠

(٧٠) لوامع الانوار البهيه وسواطع الاسرار الاثريه لشرح الدرّة المضية في عقد الفرقه المرضيه ـ محمد بن أحمد السفاريني ٠ ط ٢ موءسسة الخافقين دمشق ـ ١٤٠٢هـ٠

(م)

(٧١) مباحث في علوم القرآن ـ مناع القطان ط ٨ مكتبة المعارف ـ الرياض ١٤٠١هـ٠

(٧٢) مجموع فتاوى شيخ الاسلام بن تيميه ـ جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد ط ادارة المساحة العسكريه ـ القاهرة ١٤٠٤هـ٠ توزيع دار الافتاء السعودية ٠

(٧٣) مختار الصحاح ـ محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازى ـ ط دار الكتاب العربي ٠ بيروت ١٩٦٧م٠

(٧٤) مختصر منهاج القاصدين ـ احمد بن محمد بن عبد الرحمن بن قدامه المقدسي ـ تحقيق زهير الشاويش ٠ ط ٦ المكتب الاسلامي بيروت ٤٠٥هـ

(٧٥) مدارج السالكين ـ محمد بن أبي بكر بن القيم ـ تحقيق محمد حامد الفقي ـ طباعة دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٣٩٢هـ٠

(٧٦) مرشد الدعاة ـ محمد نمر الخطيب ـ ط ١ دار المعرفة ـ بيروت ٤٠١هـ

(٧٧) مسند الامام احمد بن محمد ـ ط المكتب الاسلامي ـ دمشق ٠

(٧٨) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ـ احمد بن محمد المقرّي الفيّومي ـ ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٣٩٨هـ.

(٧٩) المصنّف ـ عبد الرزاق بن همّام الصنعاني ـ تحقيق حبيب الرحمن الاعظمي ـ ط ٢ مطابع المجلس العلمي بالهند .(١٤٠٣هـ. توزيع المكتب الاسلامي بيروت).

(٨٠) معارج القبول بشرح سلم الوصول الى علم الاصول في علم التوحيد حافظ بن احمد الحكمي ـ ط دار الافتاء السعودية ـ الرياض .

(٨١) مع الله ـ دراسات في الدعوه والدعاة ـ محمد الغزالي ط مطبعة حسان القاهرة ط ٥ ـ ١٤٠١هـ.

(٨٢) معالم في الطريق ـ سيد قطب ـ ط دار الشروق .

(٨٣) المعجم الكبير للطبراني ـ تحقيق الدكتور حمدى عبد المجيد السلفي ـ ط مكتبة المثنى ـ بغداد .

(٨٤) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث ـ مجموعة من المستشرقين ـ ط مطبعة بريل ـ ليدن ـ ١٩٥٥م.

(٨٥) المعجم المفهرس لالفاظ القرآن ـ محمد فوءاد عبد الباقي ـ ط دار احياء التراث العربي ـ بيروت .

(٨٦) معجم مقاييس اللغة ـ احمد بن فارس بن زكريا ـ تحقيق عبد السلام محمد هارون ـ ط ٢ مطبعة البابي الحلبي ـ مصر ١٣٩٠هـ.

(٨٧) المفردات في غريب القرآن ـ الحسين بن محمد الاصفهاني ـ تحقيق محمد سيد كيلاني ـ ط مطبعة البابي الحلبي ـ مصر ١٣٨١هـ.

(٨٨) من صفات الداعية : محمد الصباغ ـ ط ٢ المكتب الاسلامي ـ بيروت ١٣٩١هـ.

٨٩) مناهج البحث ـ دكتور غازى حسين عنايه ـ ط موءسسة شباب الجامعة الاسكندريه .

(٩٠) مناهج البحث العلمي ـ دكتور عبد الرحمن بدوى ط ٣ وكالة المطبوعات الكويت ٠ ١٩٧٧م

(٩١) مناهج البحوث وكتابته ـ دكتور يوسف مصطفى القاضي ـ ط دار المريخ ـ الرياض ١٣٩٩هـ٠

(٩٢) موسوعة أخلاق القرآن ـ دكتور احمد الشرباصي ـ ط ١ دارالرائد العربي ـ بيروت ـ ١٩٧١م٠

(ن)

(٩٣) نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن ـ دكتور حسن ضياء الدين عتر ـ ط ١ دار النصر ـ حلب ـ ١٣٩٣هـ٠

(٩٤) النبوه والانبياء ـ محمد على الصابوني ـ ط ٢ ١٤٠٠هـ٠

(٩٥) النشر في القراءات العشر ـ محمد بن محمد بن على بن يوسف الجزرى ٠ تحقيق ـ دكتور محمد سالم محيسن ـ ط مكتبة القاهرة٠

(٩٦) نعيم الجنة في القرآن والسنة ـ عبد اللطيف عاشور ـ ط مكتبة القرآن ٠

(هـ)

(٩٧) الهدى والبيان في أسماء القرآن ـ صالح بن ابراهيم البليهي ط ١ مطابع جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ـ الرياض١٣٩٧هـ٠

(و) .

(٩٨) الوحي المحمدى ـ محمد رشيد رضا ـ ط المكتب الاسلامي ـ بيروت٠

* الفصل الرابع : سمات الداعية في السورة : (١٥٥)

المبحث الاول : الايمان بالله. (١٥٦)

المبحث الثاني: العمل الصالح (١٦٧)

المبحث الثالث: التقوى (١٧٥)

المبحث الرابع : الاستقامة. (١٨٤)

المبحث الخامس : القيام بالدعوة (١٩٢)

المبحث السادس : الاستعلاء والاعتزاز والانتماء (١٩٨)

المبحث السابع : مقابلة السيئة بالحسنة (٢٠٦)

المبحث الثامن : الصبر (٢١١)

المبحث التاسع : الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم . (٢٢٨)

* الخاتمـــــــة : (٢٣٤)

* قائمة المصادر والمراجع (٢٣٦)

الباحث